والطمث وحال الدم الجامد في المثانة وقالوا أن كلا من ورقه وثمره ينقي قروح الرأس المتقيحة اذا جعل عليه مدقوقا واذا سحق بعصارة ورقه وثمره شيء من المرداسنج وأضيف اليها دهن ورد ولطخ به الرأس مدة أيام ويجدد ذلك مدة أيام ويترك بعضه على الرأس الى تقلي الطلية فوق الطلية ولا تقلع وفي كل ٣ ايام يدخل الحمام فاذا خرج منه طلاه أيضا بالدواء المذكور وذره بشيء خفيف فان ذلك ينبت شعره ويذهب بقروحه واذا غسل الشعر بماء أطرافه قواه وطوله وحسنه . ومن أنواع ميليا مايسمى ميليا ازادركتا ينبت بالهند حيث يسمى نيم ونمبو بكسر النون في الاسمين يستعمل مضادا للديدان كالنوع السابق وقشره مر يستعمله أطباء الهند مقويا جيدا مع بعض عطريات فيطلونه مسحوقا او مطبوخا في الحميات وفي الامراض الروماتيزمية المزمنة ويستخرج من لب ثماره التي في حجم الزيتون زيت شحمي فيه خاصة مضادة الديدان وقدم طبيب يسمى بيدنجتون لمجلس العلماء بكلكوتة ملحا سماه كبريتات الازادرين وقال ان قاعدته مرة مضادة للحمى مستخرجة من هذا النبات ولونها مبيض وتكون بهيئة بلورات صغيرة لامعة وذكروا ان اوراق النبات ملحمة للجروح وعصاراتها مخرجة للديدان (المادة الطبية)

حرف النون

النون ﴿ المفردة تلحق آخر فعل الامر والفعل المضارع للتأكيد نحو (افعلنّ وليقومنّ) وهي اما خفيفة ساكنة او ثقيلة مشددة

والنون المفردة أيضا تلحق الفعل مطلقا وتسمى نون الاناث نحو (افعلن يانساء . والزينبات يقرأن)

وهناك نون تسمي نون الوقاية تلحق الفعل قبل ياء المتكلم نحو (كلني) لتقي الفعل من الكسر

﴿ نابلس ﴾ بلدة من بلاد الشام يعمل فيها الصابون الجيد

﴿ النابلسي ﴾ هو عبد الغني النابلسي الاديب الصوفي له ديوان شعر في كلام القوم وله كتاب (ايضاح الدلالات في الآلات) توفي سنة (١١٤٣) ه

للنابلسي ديوان شعر صرح فيه بمذهب الصوفية في وحدة الوجود وأكثر في ذلك حتى بلغ ديوانه نحوا من ثلاثة عشر الف بيت من الشعر استوعب فيها كل مذهب الصوفية في الخالق والخلق ، والوجود والفناء ، والانسان والكائنات فنري أن نأتي بشيء من هذا الشعر ليتبين القارئين مذهب الرجل بل مذهب صوفية المسلمين في كل زمان . وانا اذا أكثرنا من هذا الشعر فلأن هذا المذهب قد صار مذهب الفلسفة العصرية كما يرى القارئ في كلمة وحدة الوجود في مادة (وحد) فنحيل القارئ اليها

من شعره قوله :

وجه تعدد في المرائي
وبه تحير كل رائي
والكائنات بأمره
موج على صفحات ماء
والامر أمر واحد
فيه التقارب والتنائي
ان العوالم كلها
بظهورها والاختفاء
في سرعة وتقلب
مثل الكتابة في الهواء
قد خطها القلم الذي
هو رب ديوان العطاء
بمداد أنوار الوجود
الحق من بدئي العلاء
قلم له عدد الورى
اسنان قم وانتشاء
صبغ الارادة طبق ما
في الارض يظهر والسماء
يا باطنا هو ظاهر
في كل ختم وابتداء
اني وانك واحد
واثنان عند الانتماء
من لي بمجهول العدا
عرفته كل الاولياء
ان غاب عن أغيارنا
هو عندنا من الاناء
يشقى ويسعد من يشا
بالداء جاء وبالدواء
هو بالتكبر في الشعار
وبالعاظم في الرداء
وهو الجليس بذكره
للعارفين وبالثناء
غني بمن غني وقد
طبنا به لا بالغناء

وبدا بكل مهفهف
زاكي الملاحة والبهاء
وبه القلوب تهيمت
لا بالموشح في القباء
قمر محا ظلماتنا
بطلوعه وقت الفناء
حتي رأيناه به
في كل أنواع الضياء
شمس وكل الخلق في
أنوارها مثل الهباء
طلعت فأعدمت السوى
والكون آل الى الفناء
حتي تجلى في غما
ثم باطل غيب العماء
فاختص قوما بالضلا
ل وعمها بالاهتداء
والكشف جاء بعسكر
والكون خفاق اللواء
والطبل أجسام الملا
والزمر أرواح الفضاء
وبموكب الاملاك
في الغيب سلطان الوفاء
هذا فكيف عقولنا
لا تضمحل من الهناء

وقال أيضا :

أنا عندي ان الشهود حجاب
والتنائي صيان والاقتراب
فادخلوا دار صبوتي يانداميّ
واحذروا ان يريبكم مرتاب
هذه ملة المفضل طه
فافهموا ان لم تكن لكم ألباب
ماعليكم من لفظها العذب فيها
للذي ينكر المعاني عذاب
فهلموا الي الحمي وارفعوا عن
بابه الستر فهو نعم الباب
واشربوا فضل خمرتي نوا ثني
وسط حاني ياأيها الاحباب
انما عندي الشراب وغيري
عنده موضع الشراب سراب
أنا خمار ديرها وكفوفي
هذه عند أهلها أكواب
ورهابينها رعية حكمي
كل داع بي عندهم مستجاب
قرب الفجر فاشربوا بكر دَنّ
ما علي وجهها سواكم نقاب
وارفعوا الي نفوسكم عن كؤوس
هي فيها لكم يروق الشراب

هي بحر وما سواها فموج
وهي خمر والعالمون حباب
قام شماس ديرها يتمشي
وعليه من نورها أثواب
وجلتها القسوس بين أناس
عندهم في جمالها أوصاب
فاختسوها بين جنك وعود
حيث راق الصبا ورق رباب
ثم راحوا عجردين سكاري
وتثنوا معربدين فغابوا
خرجوا عن نفوسهم وعن الكو
ن وعن كل مالهم يستطاب
ثم عن ذلك الخروج فكانوا
صور اللوجود فيها انقلاب
وهم الحان والدنان وكاسا
ت الطلا والديار والابواب
وهم الفوز في جنان نعيم
وسواه جهنم وعذاب
طفح الكأس يا سقاة الحيا
دار من فرط رقصنا الدولاب
وبأشواقنا الحمائم هاجت
فغناء على الربا وانتحاب
والبرايا عن الحبيب سؤال
كلهم جائر ونحن جواب

وقال أيضا :

قلبي لعلم الاله باب
وماله دونه حجاب
وكل أحوالنا تناج
وكل أدراكنا خطاب
وكل أرواحنا عمار
وكل أجسامنا خراب
وكل معقولنا كؤس
وكل محسوسنا شراب
وكل أعدائنا سؤال
وكل أحبابنا جواب
وكل وقت لنا دنو
وكل حين لنا اقتراب
وكل شيء له الينا
من حيث معروفنا انتساب
وكل لفظ لنا رسول
وكل معنى لنا كتاب
وروحنا قسوي حسام
يخفيه من جسمنا قراب
ورؤية الحق جل فينا
وليس فيها لنا ارتياب
والشمس في الافق ذات نور
وان بدا دونها السحاب

ونحن من ربنا كلام
لناوألفاظه العذاب
ونحن قوم اذا أردنا
أرشدنا الدف والرباب
ونحن روح الجميع صرنا
وذهب الماء والتراب
ونحن حق ونحن خلق
ونحن قوس ونحن قاب
وكشفت وجهها سليمي
وانهتك الستر والنقاب
وراق خمر الوجود منها
ونحن من فوقه حباب
وحاصل الامر كل شئ
غير اله الورى سراب

وقال ايضا :

انت قيد الوجود ان غبت غابا
واذا ماحضرت كنت حجابا
وكذا الكائنات علوا وسفلا
هو منهن لابس أثوابا
كل ذا باعتبار نفسك أما
هو في ذاته فجل مهابا
واحد مطلق عن القيد بل عن
قيد اطلاقه يلوح اقترابا
وهو في بيت عزة وجلال
لست تلقى اليه غيرك بابا
قف على بابه به وتأدب
بخشوع وقبل الاعتابا
كن بلا أنت تكشف الحجب عنه
ويريك الذي أرى الانجابا
وجهه النور ظاهر بك لكن
عنه أبدي عليك منه نقابا
يانديمي خذ المدامة مني
اتني قد أردت هذا الشرابا
وبسطت البساط في دار قومي
وملأت الكؤوس والاكوابا
وكنست الكنائس السود مما
كان فيها حتى البياض أجابا
واستحالت الى الاصول فروع
أحكمتها يد الفناء انقلابا
فوجودي هو الوجود الحقيقي
والتصاوير فيه كانت خضابا
ان علمي علم اليقين بأني
كنت سعدي وزينبا والربابا
كنت ليلي انا ومجنون ليلى
والمحبين قبل والاحبابا
وأنا الآن كل ما هو باد
وسأبدو حبائبا وصحابا

مثل فعل الحرباء يصبغ منها
كل لون به تلوح الاهابا
وهي في أي صبغة هي فيها
ذاتها لا تزال والالقابا
كل شيء نطق الوجود حروف
عاليات تحير الالبابا
قلم ان بحثت عنه ولوح
باعتبار ولقبوه الكتابا
وهي عين تري وتدرك اندت
ماسواها الجفون والاهدابا
شمس ذات لها الاشعة اسما
وعليها الجميم كان سحابا
تتجلي بنا فتظهر عنها
مثل ما يظهر البقاع السرابا
لكن الغر بالحقائق لايه
رف شيأ فيحسب الشهد صابا
ويظن الوجود قسمين هذا
خطأ منه لا يكون صوابا
ويزيد الشرك الخفي عليه
كلما غار الشراب الحبابا
والكلام المجاز عين الحقيقي
وتري في معناهما استغرابا
لكن المنكر الجهول غبي
ومحب السوي له يثغابي
والذي يفهم الامور تراه
جامعا فارقا عصيا مجابا
هذه ملة بها الله أدني
منه اهل الكمال والاقطابا
لم يوفق لها الا له سوي من
خر نجما علي الجهول شهابا
حافظا لم يزل عهود التصابي
في شهود الوجود والآدابا
فعليه السلام ماحن قلب
نحو أحبابه وزاد التهابا
وبسعدى رأى العذاب نعيما
حين وافته والنعيم عذابا

وقال ايضا :

أطوف على ذاتي بكلمات جامعتي
وأستمع الالحان في حان حضرتي
وأنفخ مزماري وأصفي لصوته
وأضرب دفي حين ترقص قينتي
وأنشق من روضي نسيم حقائقي
ويسرح طرفي في حدائق نشأتي
وعندي الى رؤيا جمالي تشوق
كثير وما عشقي لغير حقيقتي
ويالهف أحشائي على حسن القي
فؤادي به صب ويافرط لوعتي

أحن الي ذاتي صباحا وفي المسا
وغاية قصدي في العوالم رؤيتي
وقد وعدتني البوم نفسي بوصلها
غدا فمتى مني تقوم قيامتي
وأرفع عن وجهي خماري مجردا
ثيابي عن ذاتي وأهتك ستر تي
أبي الحب الا أن أكون مولها
بقلب على طول النوى متفتت
وشوق شـير واصطبار ممتع
وسقم وأشجان على شـديدة
واني لارجو من حقيقتي اللقا
وأطلب منهـا أن أفوز بنظرة
فلاعجب ان بحت بالسر للورى
وعربدت في هذا الوجود بسكرتي
ونهت بمحبوبي علي كل ناسك
وغبت على الاكوان بل عن هويتي
وعندي انتظار كل يوم وليلة
الى رؤيتي بل كل وقت وساعة
وما أنا الا من أحب وان من
أحب أنا من غير شك وشبهة
أردت ظهور آلي وما كنت خافيا
فطورت في الارض من كل صورة
وقد كنت قدما في عما ليس فوقه
ولا تحته ايضا هواء بوحـدة
والقلم الأعلى تنزلت من يدى
واللوح حتى للذوات الكثيرة
وقد كنت عرشي واستويت عليه من
قديم زماني في الوجود برحمتي
ومنه الي الكرسي فنزلت بل الى
سمواتي السبع الطباق العليـة
وطورت أملاكي فلي كنت عابدا
وطورت أفلاكي فـارت بقدرتي
وعدت نجوما مشرقات على الورى
أزيد ضياء في ظلام الدجنـة
وطورت شمسا في طلوع نهاركم
وما الليل الا ن نتائج غيبتي
وصرت هلالا تحسبون الشهور بي
وأجلو عليكم ضوء شمس الظهيرة
وقد صرت أياما لـكم ولياليا
ودهرا وساعات وكل دقيقة
وطورت شكل الجان في الارض قبلكم
وبعثت لهم رسلا لابلاغ حجتي
وقد كنت تكذيبا لرسلي منهم
فصرت لهم أوفى هلاك ونقمة
وفي كل أطوار الشياطين بينكم
ظهرت بوسواس لاصحاب شقوة
وطورت في شكل العناصر ثم في
مواليدها في الارض تلك الثلاثة

ففي معدن طورا وطورا ظهرت في
نبات وحيوان لتتميم حكمتي
وكنت رياحا من شمال ومن صبا
أهب فأروى عن حديث الاحبة
وكنت بحارا زاخرات على المدى
تفيض فتبدى موجة بعد موجة
وطورت أرضا ثم صرت جبالها
لارسائها فوق البحار المحيطة
واني على ما كنت فيه ولم أزل
ولي رتبة التنزيه أرفع رتبة
وما كثرة الاطوار مني غيرت
صفاتي ولا ذاتي ولا قدر ذرة
وهل انت في تخييل ذاتك باطنا
تغيرت عما كنت في كل مرة
فيجلو عليك الفكر ما قد أردت من
زخارف أشباح هنا مستحيلة
وذاك كهذا غير ان الخيال مع
تخيله في الغير لا في الهوية
وما هي الا انت لاشيء ههنا
سواك فحقق سر تلك الحقيقة
واياك والتشبيه في كل موضع
توهمت فيه الغير وافطن للبسة
وخذ كل ما ألقي عليك منزها
ولا تخش عارا ان فهمت اشارتي
وهذا الذي قد قلته كله انا
ظهرت به لي قاصدا لنصيحتي
ولما انقضت أطوار ذاتي بمقتضي
صفاتي وأسمائي العظام الجليلة
وتم التباسي بالذي انا مظهر
له من شخوص فصلتها ارادتي
وسويت جسم الكل بي فهو قابل
لروحي وتفصيلي استعد لحملتي
جمعت من الاشياء طينة آدم
ومنها الى الكل الرقائق مدت
وخمرتها حتى تناسق نشؤها
وسويتها حتى لنفخي استعدت
ولما استتم الامر واستكمل الذي
أردت من الاجمال في البشرية
ففي تلك من روحي نفخت وقد سرت
نسائم أمري في رياض الطبيعة
فقمت سميعا باصرا متكلما
مريدا عليما ذا حياة وقدرة
فلم يبد مني غير ما هو كائن
لدى وبي مني علي حكومتي
فكنت كما لونه من أنائه
وكالشمس تبدي خضرة بالزجاجة
وأسجدت أملاكي لأمري لمظهري
فكان سجودي لي وآدم قبلتي

ولما أبى ابليس عني تكبرا
وعرفت مابيني وبيني كلاهما

ولم يأت لي من بعد أمري بسجدة
علي عرفات بعد طول التشتت

عن الملأ الأعلى له كنت مخرجا
فكان نكاح الامر في الخلق ظاهرا

وآب بخسران وطرد ولعنة
ينافي كلا الشخصين قبل النتيجة

وأسكنته في الارض أظهر كامنا
وأظهرت من صلبي جميع مظاهري

به من شقا أصحاب قبضة يسرتي
بصررة ذر للعهود الوثيقة

وأظهرت في ذاك الملا فضل آدم
وأشهدتهم عني ألست بربكم

وأنزلته أعلى مقام بجنتي
فقالوا بلى طرا بنفس مطيعة

وأخرجت حوا منه فهي له كما
وأوهمتهم غيرا فأنكر بعضهم

هو الآن من حيث وصفي وصورتي
وأوفوا بعهدي بعضهم مع لبسة

وعن بعض أشجار هناك نهيته
وأول أطوار الكوامن أتتي

ولي كان مني النهي عني لحكمتي
لآدم شيئا كنت وهو عطيتي

ولما اقتضى فعلي لما كنت عنه قد
وطورت نوحا جاء ينذر قومه

نهيت كمال الصورة الآدمية
وكنت له التكذيب منهم ببعثتي

أتيت بأقسام الى موسوسا
وألفاسوي خمسين عاما لبثت في

وأوقعت نفسي في غرور وغفلة
جماعتهم أبغي لهم نشر دعوتي

وذقت كما ذاق العدو تباعدي
وهم يعبدون الغير بل يعبدونني

وما الاكل الا الفرق والجمع توبتي
ولا غير لكن وهمهم هو سترتي

وقد لاح عصياني علي ومذ بدت
ولما أبوا واستكبروا كافرين بي

طفقت بأوراق أخصف سوآتي
دعوت عليهم واستجبت لدعوتي

ومن بعد ذا أهبطت للارض هيكلي
وأرسلت طوفانا عليهم فأغرقوا

وكنت بها في العالمين خليفتي
ولم ينج الا من معي في سفينتي

وسخرت لي كل الوجود تفضلا
وطورت ادريسا ولي كنت رافعا

علي صورتي مني وأتممت منتي
مكانا عليا لي أجل مكانة

وطورت ابراهيم يدعو الى نبي
على قومه آتيته اى حجة
ومذ قال ذا ربي له كنت كوكبا
كذا قمرا ايضا وشمسا بوجهة
ولا فرق الا بالافول ألم تكن
اذا لم أحب الآفلين مقالتي
كما قلت مسموم لقوم تعلقوا
بما قيد الامكان من مطلقيتي
وجئت الى النمروذ أدعوه للهدى
فلم يمتثل حتي ثوى بالبعوضة
وأضرم لى نارا وأرسلني بها
فعادت بأمري لي على كجنة
وقد كنت مني طالبا انني ارى
لحق يقيني كيف احياء ميتة
فجاء جوابي لي بأربعة فخذ
من الطير واجعل في العلا كل قطعة
وناديهم يأتين سعيا وبعد ذا
فكن عالما لاشيء الا بقدرتي
وطورت اسماعيل لما بلغت مع
أبي السعي ذبحي قد رأيت بنومتي
وناديت لما أسلما حين تله
أصدقت حتي كان بالكبش فديتي
وطورت اسحق الغيور ولم تكن
علي غير تحريم الفواحش غيرتي
وطورت يعقوب بليت بيوسف
وأسلمني حبي له كل محنة
وفرقت ما بيني زمانا وبينه
ووا أسفي ناديت من طول فرقتي
وعيناى من حزني قد ابيضتا وقد
منعت بجمع الشمل بعد التشتت
ويوسف قد طورت زاد ملاحة
بوجه سبى كل الوجوه المليحة
وبالثمن البخس اشتراني مشتر
وفي الجب القتني من الكيد اخوتي
وقد عشقت حسنى زليخا والهوى
أضر بها حتي هممت وهمت
وطورت هوداً كان يشهد قومه
على انه من شركهم ذو براءة
ولوطا لقد طورت ايضا وصالحا
أتيت الي قومى لابلاغ دعوتي
فزاغوا وعن امرى عتوا وتكبروا
وقد عقروا لما عصوني ناقتي
وطورت موسى ضارب البحر بالعصا
وقد شق حتي قومه فيه مرت
وآنس نارا من جوانب طوره
فرام ليأتي الاهل منها بجذوة
فنال الهدى في شكل مقصده وقد
تجلي له من مظهر الاحدية

وقد حاز منه رؤية بسؤاله
ولكنها الاطواد بالصعق دكت
وعيسي لقد طورت يبري، أكمها
وابرص والاموات يحيي بدعوة
وارسلت روحي طبق ماهو عادتي
الى الام حتى كان مظهر نفختي
واظهرت ماقد كان في الاب مضمرا
وبينت للاقوام سر الامومة
فضلوا وزاغوا عن مثال ضربته
لفهم علوم في الوجود دقيقة
وقالوا بأني قد غدوت له أبا
وقد خص من دون الورى بنبوتي
واين الوجردان اللذان تباينا
وما عز خلاق كذل خليقة
ومن بعد هذا جئت في طور كل ما
مضى من رسول او نبي لامة
واصبحت في شكل النبي محمد
الى الله أدعو الناس في ارض مكة
فآذتني الاقوام بغيا وحاولوا
بأفواههم اطفاء نور النبوة
وأظهرت دين الحق بعد خفائه
فأصبحت الكفار في سوء حالة
ونكست اصنام الضلالة في الورى
أزلت ظلام الظلم من فرط سطوتي
وطورت اصحابا ومن هو تابع
لهم بالهدى مثل الكرام الائمة
ومن بعد ذا مازلت أظهر دائما
على أمد الازمان في كل هيئة
وطورت اهوال القيامة والذي
يكون غدا في يوم عرض الخليقة
واياك من قولي بأن تفهم الذى
تدين به الكفار بين البرية
فاني برىء من حلول رمت به
عقول تغذت بالظنون الخبيثة
وما بانحلال واتحاد أدين في
حياتي وان دانتهما شر أمة
وكل الذى أبديته بك ناظما
فمن فوق أطوار العقول السليمة
فان كنت من اهل المعارف لم تلم
لانك تلقاه بنفس تزكت
وان كنت مطموس البصيرة جامدا
على ماترى من صورة بعد صورة
فانك معذور بقلة فهم ما
اقول لضعف في قواك الكليلة
فواظب على التنزيه وادأب عليه لا
تكن من اناس بالتشبه ضلت
ودع عنك تجسيما ولا تك جاهلا
بأوصاف من أبداك في كل حالة

وقال أيضا :

شهرت ذاتي لذاتي
في صفات من صفاتي

وبدت في النفس نفس
سكنت في حركات

كنت كالقشر عليها
وهي كاللب المواتي

والذي أبديه عني
هو نعتي وسماتي

عينها غابت ولكن
حصرت باللحظات

وغدت تكشف عني
لي بها عن ظلماتي

وتبدت شمسها من
فوق سبع طبقات

فأنارت أرض قلبي
وبها ضاءت جهاتي

وأنا الحادث ماض
وأنا الدائم آت

وهو أمر واحد وا
نان بعد الالتفات

فتنحوا عن طريقي
يانفوسا جاهلات

واحذروا أن تدخلوا في
طرقاتي الضيقات

وابحثوا عنكم وخلوا
بحث عن اوصاف ذاتي

إنا الا روح امر
فوق كل الكائنات

انا الا محض نور
فائض باللمحات

أنا الا سر عرش
وانا ماء الحياة

وانا المعروف في السب
ع الطباق العاليات

وانا فوق اشارا
تي وكل الشطحات

ومعاني الكون دوني
وهي من أدنى هباتي

كيف لا والنفس مني
ذهبت في الذاهبات

وبدا الحق مكاني
يتجلي بصفاتي

والذي يعرف ربي
عارف بي وبذاتي

والذى يجهله يج
هلني بالغفلات

يا أخلائى رويداً
كم بتعويج قنـاتى
ظلنكم أعدم نورى
عندكم ذا اللمعات
كلما لمتم شربنـا
كم كؤوس اصافيات
وعلمناكم دنان الـ
باقيات الصالحات
وجهلتم ما لديكم
كحمير سارحات
عنـدكم ماء وأنتم
قد عطشتم للممات
هيئوا الاكباد منكم
في غد للحسرات
واستعدوا لسؤال
عن جميع السيئات
ليت منكم لو شربتم
ماحويتم ياسـقاتي
مخرج الافلاك اضحي
بحروف الجسم ياتي
عن لسان الملأ الأ ء
لى وهاتيك الذوات
ومعاني الروح تتلى
في المساوالغدوات
وكلام الله برق
خصنا بالومضات
ومعنـا وتر الوتـ
ـر بأيدى الغانيات
ودفوف الحق من نقـ
ـرتها زالت سناتي
ومزامير المعاني
أطربت بالنغمات
وحلي رقصي مع الار
واح تلك الراقصات
ثم يا آتى جميعا
دخلت في ألفاتي
وانقضي صحوي وقدعم
ت بحر السكرات
غرست في ارضه بالا
طف منه شجراتي
وهو زري وهو ايضا
ظاهرا من ثمراتى
وانثنت اغصاننا من
أمره بالنسمات
في ربا أوج التجلي
ورفيع الحضرات
ياشذا عرف غراسي
فاح ياطيب نباتي

والسوى في كل حزن
وأنا فى النزعات
والذى عندي منه
غير ما عند عداتي
هم يروني في شتات
مثل ماهم في شتات
وانطوى عنهم خصوصى
وانثنى عنهم ثباتي
وانجلت شمسي وهم باا
جسم خلف الهضبات
فاح مسكى وزكام
عندهم عن نفحاتي
وأنا في محض ايقا
ن وهم في الشبهات
وعلى الجملة فيهم
قد أجيبت دعواتي
وأصيبوا برزايا
هي احدي السطوات

وقال ايضا :

قف جانب الدير سل عنها القساقيسا
مدامة قدستها القوم تقديسا
بكر اذاما انجلت في الكأس تحسبها
من فوق عرش من الياقوت بلقيسا
رقت فراقت وطابت فهي مطربة
كأنها بيننا دقت نواقيسا
مالت بها القوم صرعي عندما برزت
بها البطارق تسقيها الشماميسا
كأنها وهي فى الكاسات دائرة
صافي الزلال حوي فيه طواويسا
صرف صفت وصفت دار النعيم لنا
وآدم والذي يحكي وابليسا
عجنا على ديرها والليل معتكر
حتي زجرنا لدي حاناتها العيسا
مستخبرين سألنا عن مكامنها
توما ويوشا ويوحنا وجرجيسا
نأتي الكنائس والرهبان قد عكفوا
لدي الصوامع يدعون النواميسا
طفنا بها واستلمنا دنها شغفا
فلم نخف عندها عيبا وتدنيسا
حيث القساقس قد قاموا برانسهم
يومون بالرأس نحو الشرق عن عيسى
والكل في بحر نور الترب حكي
موجا أرته رياح القرب تأنيسا

وقال ايضا :

فريدة حسن وجهها البدر طالع
أشاهد معنى حسنها وأطالع

obeikandl.com

تجلت وكل الحادثات مغارب
فجلت وكل الحادثات مطالع
ولاحت لعيني وهي نور فأعدت
ظلام سواها واستنارت مرابع
وكانت ولا شيء كما هي لم تزل
كذلك والاشياء منها وقائع
نفتني بأنوار التجلي وأثبتت
فكلي لها منها اليها ودائع
وعندي لها أنواع عشق تفصلت
على قدر ما تبديه منها البراقع
تثنت فقالوا لاح ثان وثالث
على الزور والبهتان منهم ورابع
ولو وجدوها طبق ما زعموا لما
رأوا غيرها في كل ما هو واقع
فهل من فتى يا غافلون أدله
عليها فيحظى بالذي هو طامع
وتنفتح الابواب بعد انغلاقها
ويدخل بيت العز من هو قارع
نعم هو هذا لو لبثتم على التقى
كما انا ادرى واستقلت مطالع
وسلمتم الاحوال لله كلها
وفيه استقمتم ماثناكم منازع
تريدون لكن بالاماني وصالها
فيدفعكم وهم السوي ويمانع
ولا صدق الا في مراد نفوسكم
لكم واعاقتكم دعاوٍ قواطع
واين اقتحام الحرب من ذاكر لها
ولا يشبه الشبعان من هو جائع
ومن يخطب الحسناء يسخ بمهرها
وطالب شهد لم تخفه اللواسع
رويدك مهلا ان للحق عصبة
وما منهمو الا وبالحق صادع
أقاموا على محض اليقين بناءهم
وجامدهم من هيبة الامر مائع
وداموا على صدق الارادة والرجا
وهم كل قرم للخطوب يقارع
وقد عمروا أوقاتهم بحضوره
وعندهم الدنيا ديار بلاقع
وأعلى العلا من دون دون نعالهم
يعز بهم متبوعهم والمتابع
هي الشمس أبدت ما سراها أشعة
اذا غربت نحن النجوم الطوالع
اشارت بجفن العين فافتتن الورى
ولا قلب الا وهو حيران والع
وأبصرها طرفي وذلك طرفها
فكان لها منها بصير وسامع
وأحببتها بل تلك كانت هي التي
قديما أحبتني فزال التقاطع

وقد ملأت عيني بأنوار قدسها
ألفت قديما حبها وهو حبما

ومنها لغزلان الجمال مراتع
احب فكانت ما أنا فيه والع

وما الكل الا صورة مستحيلة
وقرت بها عيني غداة عرفتها

كماء له موج وفيه فواقع
فمن عينها تجرى لعيني منابع

وما الماء الا الروح والموج أنفس
وبانت وما بانت فلا شيء غيرها

فواقعها الاجسام وهي الجوامع
سوى اننا عنها بروق لوامع

وتلك تقادير بها الامر ظاهر
اذا أسفرت عن وجهها رقع السوى

ومن خلف هذا كله الذات واسع
عدت كل ضال في الورى وهو ضائع

صدقتك جاء الحق والباطل انتفي
وان سترت بالغير وجه جمالها

وزالت تماثيل الخيال الخوادع
أضلت عقولا تعتلي فتقارع

ومخطوبة الارواح ألفت لثامها
ولولا دفاع الناس بعضا ببعضهم

عن الوجه منها وهو بالنور ساطع
لمدت كما قال الاله صوامع

فأفنت جميع الكائنات وهيمت
ونحن أولاء المؤمنين بحسنها

رجالا وهت منهم عليها الاضالع
عداوتنا سم حذارك ناقع

وكم فتنت من عشقها من متيم
ومن رامنا بالسوء فالله دائما

اذا ذكرت منها تفيض المدامع
كما جاء في القرآن عنا يدافع

صلت بالمصلى مهجتي بفراقها
ألمت بنا والكون كالليل مظلم

ونلت مني أذلى مني هو جامع
فلم تشعر الواشون اذ هم هواجع

وجادت علي كل الذوات بذاتها
وزارت على رغم الاعادي فأنكروا

فلا ذات الا ذاتها يا مدافع
زيارتها قالوا خيال يرافع

وكل صفات الكون فهي صفاتها
وما ذاك الا أنني كنت فارسا

وتنزيهها في الكون بالكون شائع
ببيدائها والغير في السير ظالع

ولا قائم الا بها في وجوده
محجبة الا على كل محرم

ولا صانع الا بها هو صانع
لها قربته فهو للوتر شافع

ومقبلة لكن على كل تارك
سواها بها عنها اليها يسارع
أعارت معاني الكون ثوب صفاتها
وكل معار للعبرة راجع
وأودعت الاشياء سر وجودها
ولا بد يوما ان ترد الودائع
ظهرنا بها لا بل بنا ظهرت وقد
تساوت دوان ههنا وشواسع
ولا دين الا حبها عند أهلها
فكم نحوها من ساجد وهو راكع
اليها صلاة القوم اين توجهوا
وقبلتهم وجه لها يتلامع
وبالماء ماء الروح من أمرها لهم
وضوء وغسل دائم متتابع
وان خالطوا الاغيار كانت جنابة
لهم رفعها فرض على القوم قاطع
وان لم يكن ماء هناك تيمموا
صعيدا له طيب من الجسم ضائع
هو الحق لاقوا من سواه نجاسة
فمنها قد استنجوا وزالت فظائع
وعن غيره لم ينطقوا فتمضمضوا
وشموه باستنشاقهم فهو ذائع
وعما سواه كان غسل وجوههم
لكي يقبلوا عنهم له ويسارعوا
وغسل يديهم من جميع امورهم
بتفويضهم فيه تنال المطامع
وتثليث هذا الغسل شكل مثلث
به ظهرت ممن يراه صنائع
وقد مسحوا فيه رؤوس رياسة
فما الذل الا وصفهم والتواضع
وقد غسلوا أقدامهم في قيامهم
بخدمته عن كل ماهو مانع
وقد كبروه عن مدى وصفهم له
برفع يديهم ظاهرا وهو رافع
وأثنوا عليه بالذي هو اهله
ومنه استعاذوا فهو ضار ونافع
وهم باسمه قاموا ليتلوا كلامه
فما منهمو الا به وهو خاشع
وان ركعوا مالوا اليه بكلهم
وصاروا لديه والقلوب خواضع
وان سجدوا يفنوا ويبقوا به له
اذا سجدوا الاخرى وتبدو بدائع
وفيهم سكون من قعود تشهد
له وانقضي تحريكهم والتنازع
وقد سلموا طوعا اليه وأسلموا
ومنهم له التسليم للسوء دافع
ولا مال عند القوم الا نفوسهم
تجارتهم فيها غلت والبضائع

وقد أنفقوها حين آتوا زكاتهم
على الحق لم يقطع بهم عنه قاطع
وأدوا اليه فطرة فطروا بها
وما غيروها والقلوب طوائع
وصاموا عن الاغيار فيه وأفطروا
على وجهه مذغاب للكون طالع
وفي الحج كانوا بيت عزته فهم
بنشأتهم طافوا فست وسابع
وقد رملوا في ذا الطواف تدللا
عليه وفخر عندهم فيه بارع
ولما بدا من قلبهم حجر الهدى
له استلموا اذ منه بانت أصابع
وفي عرفات الوصل حازوا تقربا
بوقفتهم فيها فزالت موانع
ونالوا مناهم في مني وبها رموا
جمار هموم كلهن مصارع
وقد ودعوا البيت العتيق وأقبلوا
على أصلهم في العلو وهو مواضع
وفي عيد نحر الهجر فازوا بذبحهم
ضحايا طباع هن فيها لواسع
ذبيحة نفس قطع عرق فسادها
الى ان بني منها خؤون مخادع
وأخذ لقيط القلب في مسجد الحجي
مهم له تسعى الكرام المصانع
ومن يلتقط سرا بتعريفه له
يرد على الروح الالهي ضائع
وغيبة مفقود عن الكون حكمها
كموت له في كل أمر يضارع
وحب يعاني الحق اخراج عشرها
خراج لارباب الجهالة قاطع
وجزية كفار النفوس تكون عن
يد وصغار حيث قر واضع
ومن نال صيد الغيب كاب هواه او
أعيقت بياري القلب طير سواجع
فقد فاز بالقصد الذي هو راكب
اليه على خيل وهن الطبائع
وواهب ذات الخال ظلمة كونه
تعوضه نورا به هو لامع
وقد آجر الاقوام امكانهم له
فأجرتهم انعامه المتسارع
وباعوا نفوسا في هواه نفيسة
له فاشتراها حين أوجب بائع
فقال لهم فاستبشروا اذ بيعكم
توليتكم فالكل عندي مطاوع
وان جهاد القلب للنفس واجب
عليهم لفتح الروح فهو المصارع
وقد دخلوا بالملك في قلعة الانا
فليس لهم عما يرومون دافع

وقادوا أسارى كل خلق مذمم
وفاز شجاع بالغنائم دارع
وقد شاركوه في الوجود فثامن
لفسخ اشتراك كان منهم وتاسع
وقد كفل الرحمن ارزاقهم لهم
وطالب بالاعمال وهي منافع
فان الدعاوى ألزمتهم كفالة
بأعمالهم والكل منه نوابع
وتوكيلهم للحق انتج قربهم
اليه وهذا الكمال ذرائع
أحال بهم يوما عليهم فافلسوا
وقد أصبحوا بعض لبعض يتابع
ولما اليه بالحوالة ردهم
لهم بالغنا كانت لديه مواقع
ونحن له وقف لاجل صفاته
وقد عمرت منا لهن المزارع
وقاض قضى بالحق والروح شاهد
فكان لحق النفس منها مقامع
ودعوي الغني تعطي الخصومة في الهوي
وقد جمعت للعاشقين مجامع
وجاءت بأنواع الشهادات أمة
على الحق زكتها صفات وارع
وهذا نكاح الامر عقد محقق
ومن كل شيء خلق زوجين بادع
شهدنا علي ايجابنا وقبولنا
وكانت لنا بالحضرتين وقائع

الي ان قال :

وانزاله القرآن قد حملت به
فروج قلوب بالعلوم تدافع
وبت طلاق الصبر زوج فتي الهوى
ثلاثا على سلمى فكيف يراجع
ولو دفعت كل الذى هو ملكها
علي طلقة ما كان قلبي يخالع
وبرت يمين واليمين ثلاثة
غموس بحكم الغير للغير رائع
ولغو علي اهل المجاهدة احتوي
ولا اثم فيه لكن القلب جازع
ومنعقد وهو الذى بين قومنا
تلذ به عند اللقاء المسامع
كلام علي حكم العيان مفصل
به الغيث من سحب الحقائق هامع
وتكفيره في حنثه ستر كل ما
بدا فثمار الحظ منه أيانع
ومن يأخذ الدنيا بشفعة داره
من الحق لما باعها فهو باخع
ومن رد عبدا آبقا كان اجره
عظيما علي مولاه فهو الموادع

وأحياموات النفس بالذكر واجب
ليسعد فيها بالحراثة زارع
وقتلك معنى الروح بالروح يقتضى
قصاصا بسيف الحق اذهو شارع
وان أخذت من وضعها دية له
فذلك حكم للقصاص يضارع
وحيأت الاقوام ارض نفوسهم
فكان المساقي شيخهم والمزارع
واقرارهم بالحق حجتهم على
سواه وكل لابس الامر خالع
واعطامر أس المال وهو وجودهم
اليه اقتضى ربحا وضل المخادع
مضاربة منه قديما مع الذي
له كل مافي الكائنات توابع
وان غصبوا أوصافهم من ذواتها
أغارت عليهم منه خيل طالائع
وفي الصلح عن دعوى المغايرة اختفوا
فهم منه في الدنيا غيوث هوامع
وقد رهنوه بالديون قلوبهم
وماض وحال لابني ومضارع
حدود الهوي قامت عليهم ربهم
فلم يعتدوها والحدود روادع
ومن يدعي ملكا فذلك سارق
يد يداً فالحق لليد قاطع
وعينيك فاسمع لاتمدن قال فى
امام فكيف المقتدي وهو تابع
وخمر السوي منه اذا شرب امرؤ
عليه بأنواع الخطوب مقارع
وزانية لم تحصن الفرج عن سوي
لها الرجم بالحرمان حد يمانع
وقذف أولى التشبيه بوجب حدهم
سياط بعاد عن حماه قوارع
وقد كان بالتقوي وصيته لنا
غداة بدت سبل ولاحت مشارع
به منه تقوانا فلا ندعي لنا
وجودا ورضي حكمه ونطاوع
وميراثه منا بميراثنا له
فرائض كانت منه فينا براضع
فثمن وثلث ارث ام كتابنا
على حكمها في قسمتي لا أنازع
ولا يرث المحجوب منهم بحاجب
على العين حكم قررته الشرائع
وبالعول ان زادت سهام أولى الحجي
خيالا تراءته العيون الهواجع
أعد نظرا مازادشيء على الذي
علمت ولكن لجة وزعازع
وقام وصي الحق يحفظ بالهدى ا
يتيم الالهي والجميع مراضع

ونقد الهوى فرض على القوم درسه
وكم ناله شيخ وكهل ويافع
ومن كان مقداما يلج كل لجة
اليه وان ضجت عليه الضفادع
واهل طريق الله قد الفوا السري
وطال بطاح دونهم وأجارع
وغابوا عن الاكوان في الغيب حيث لم
يكن ههنا الا الشخوص الخوادع
ومدت لهم منه يد أقدسية
تبايعهم فيما رأوا فتبايعوا
هم القوم لا يشقى الجليس بهم اذا
لهم كان في سر وجهر يطاوع
وقد زهدوا في الزهد عما سواه اذ
رأوا الزهد معنى للعقول يخادع
وعن توبة تابوا وهذا مقامهم
لهم هو من فوق المقامات رافع
وتقواهم التقوى على كل حالة
لديهم عن التقوى وتلك بدائع
وما ورع الا عن الورع اقتفوا
وما منهمو الا عن القنع قانع
وفاتوا مقامات السلوك لانها
على أوجه الاسرار منهم مقامع
وقاموا بوصف الذات في غيب غيبه
له فيه ختم مثل ما كان طابع
وتمت معانيهم على كلماته
وماء الهدى من عينهم هو نابع
وزال الذى كانوا يظنون أنه
سواهم له عز عن الكل شاسع
وقد كان وهما ذاك عند عقولهم
كمثل رقوم أظهرتها المدامع
وقد بدلت ارض لهم غير ارضها
كذاك سموات وزالت طوالع
وقد برزوا للواحد الاحد الذي
بهم هو فيه عالم ثم صانع
وكانوا كما كانوا على الحالة التي
بها أزلا كانوا كلم يك واضع
كما انه باق بما هو فيه من
قديم وهذا الامر للوهم قامع
بدايتهم كانت نهايتهم به
ومبيعهم آلت اليه المهايع
وفي العلم كل هكذا مترتب
حضور له ما قد مضى والمضارع
فمن يعلم العلم القديم يري الذي
أقول وترمي عن حمير براذع
وتخفي علوم للعقول حوادث
عناكبها تبنى البيوت خوادع
ولم يك ذا الا بتعليمه ولا
يعلم الا من لديه بوادع

وما كان فيه فهو يبدو له به
ومالم يكن فيه فما هو واقع
هيولى شهدنا أنها نور نوره
لها صور شتى به تتدافع
وألوانها ذات الفنون فأزرق
سماوى لون ثم ابيض ناصع
واسود غربيب واخضر ناضر
واحمر قان ثم اصفر فاقع
ظواهر منه فيه عنه له به
بواطن افناها من الذات لامع
وبالحق أنزلنا وبالحق نازل
لقد حققته العارفون المصاقع
وما الحق الا واحد فهو عالم
وعلم معلوم ثلاث قوارع
ومن ههنا ألهى التكاثر امة
محققها من كوثر هو جارع
وذلك نهر الجنة العذب ماؤه
وفي الحوض أنبوبان منه شوارع
هو الحوض منه كل من نال شربة
فلا ظمأ يلقى ولا هو جازع
ويطرد عنه كل من تبع الهوى
وتمزيقه دنيا بدنياه راقع
أباريقه قوم به امتلأوا وهم
نجوم بآفاق العلوم سواطع
يضيء بهم ليل المسراة الى الحي
ومنهم رجوم للطغاة قوامع
حنانيك عش ان فزت منهم بواحد
سعيداً قرير العين غصنك يانع
وكن عبده لاحظ عبد وشهوة
فما أنت ناويه على القلب طابع
وهذا تمام حق بالبؤس والاسي
وما ناله الا الشجاع المقارع
ودم طالبا منه التحقق فيه لا
سواه تجده عنك فيك يسارع
وان زدت صدقا في محبته له
به زدت قربا واهتدي منك ضائع
وزالت معاني الغير في العين وانطوت
مسافة نفس بالمحال تخادع
وكنت كما قد كنت من قبل لم تكن
وكان كما قد كان وهو الموادع
علىم بذات منه تجلى عليه في
معاني صفات كلهن بوادع
وفيه زمان والمكان تداخلا
وكيف وكم وهو للكل جامع
له الكل وهو الكل وهو منزه
عن الكل فاعرف واعتبر يا منازع
تصاويره فيه تماثيله له
تقاديره منه فروض بوارع

من الندم امتدت الى العدم انتهت
خيالات عقل واحد يتلامع
وما هو الا النور نور محمد
تبدي من النور الذي هو طالع
فنور على نور كذا قال ربنا
وذلك مشفوع لديه وشافع
وأعلام النور الالهي شأنه ا
كبر والادنى هو المتواضع
وذلك لا يفنى وذا كل لحظة
بأيدي الفنائم البقا يتتابع
تجليه يبقيه به واستتاره
فاء له في الفكر والحس قالع
هو العقل عقل الكل مفرد جوهر
يلوح ويخفى عن ضياوهو شارع
هو الروح روح الكل والقلم الذي
به الكل مكتوب له اللوح واضع
وعرش وكرسي تجسم فيهما
له صورة تحويهما وأضالع
وفي كل شيء سر أمر ملبس
بخلق جديد للخفاء مسارع
كبرق عن الذات النزيهة لامع
فيالك برق من حمى الحب لامع
سرت نسمات الروح من روضة الحمى
فعطرني طيب من الحب ضائع
وعطرت الانفاس مني بنفحها
جميع الورى حتى استطيبت مصانع
وقامت دعاة الحق بالحق عن يدى
تعاهد ارباب التقى وتبايع
فحيهلا ياقوم نحو حقيقتي
فان طيوري بالجمال سواجع
وحوضي ملآن ومائي مروق
و وضي بأنواع المحاسن يانع
وباعي طويل والزمان مساعد
لنا وعيون الدهر عنا هواجع
وكاسات افراحي براحي وراحتي
دهاق وأيامي المواضي رواجع
على سلام في الورى يوم مولدى
وموتى وبعثي ماهمي الدهر هامع

وقال أيضا :

اني انا لست انا
فليت شعرى من انا
صورة لاهوت بدت
في شكل ناسوت دنا
كلاهما مستحدث
من عدم ومن فنا
وذاك لا ذاك له
ومن هنا ليس هنا

والقصد مني لم يقع
على سؤالى والمنى
فافهم كلامي وانتفع
به ودع عنك العنا
اياك اياك بأن
يوقعك الجهل بنا
ولا تكن معتديا
ولا تكن مفتتنا
ودع كلام عصبة
بنا أساؤوا الظننا
من شرهم ماأحد
بين البرايا أمنا
قد شبهوا خالقهم
وجسموه علنا
ونسبوا اليه ما
كان بهم مكتمنا
وهم على ذا درجوا
وفيه عاشوا بالهنا
وعبدوه مثل قو
م يعبدون الوثنا
قد نشأوا فى بدع
لايعرفون السننا
وهذه حالتهم
قد جعلوها ديدنا
فاحذر تكن مستمعا
لهم بهم ممتحنا
وخذ بما لاح ودع
عنك التباسا فتنا
بالله يامن هجروا
وعظموني شجنا
وقد أطالوا سهري
وأحرموني الوسنا
وملء قلبي شغف
ودمع عيني هتنا
ولى اليهم ابدا
فرط غرام وعنا
رفقا بصب دنف
بكم غدا مرتهنا
أيان ولى منكمو
أبصر وجها حسنا
بشعب وادي سلم
جاذر لحن لنا
لما رنوا وانعطفوا
خلت سيوفا وقنا
أواه من جفوتهم
وليس لى عنهم غنى
ياليتهم لو سمحوا
ولى أتموا المننا

عهدي بهم قد نزلوا
بالسفح من وادي منى
من كل روح جعلوا
للامر منهم بدنا
وشرفوا منازلا
حلوا بها ودمنا
وكل حي جعلوا
بالوصف فيه وطنا
وشغلوا الكون بهم
وهيجوه شجنا
فهام في بهجتهم
ولم ينل منهم مني
يخفق قلبي بهم
وكم يقامي محنا
وجوده تحريكه
وفقده ان سكنا

وقال أيضا :

لمائه كلنا أواني
ونحن في نفسه معاني
والكل عن أمره ظلال
وذاته الشمس في البيان
مراتب بالوجود صارت
حقائق الغيب والعيان
عن كل أوصافه ابانت
عند الوري مثل ترجمان
وجوده لا يزال منها
يطلي نيل وزعفران
وبظلام وبضياء
وبضراب وبطعان
وبجماد وبنبات
وبأناس وحيوان
وبرجال وبنساء
وأهل شيب وعنفوان
وكل عقل وكل حسن
والتمنين والاماني
وكل فهم وكل وهم
وكل وقت وكل آن
وملكوت وجبروت
وكل انس وكل جان
وكل ساق وكل كاس
وكل خمر وكل حان
وبحسان وبقباح
وبهموم وبتهاني
وكل شيء صرفت عنه
ولم يصرح به لساني
توهمات الجميع فيه
من فرط عز ورفع شان

يجل عنها وعن مقالى
ولا تعب ما جهلت منه

يجل فيما به سباني
بقلبك القاصر الجبان

والعلم بالجهل قد تساوى
وخل ما قلته لنوم

عجزهما عنه في قران
يطرب اسماعهم اذاني

وكل عبد بما لديه
فان داعى الكمال مني

في محنة منه وافتتان
يسمع من شاء بالتنان

وقد تجلى بكل شيء
وكل شيء للحق شان

والشيء من عالم الكيان
والحق بادٍ في كل شان

فضاء منه فضاء كل
مسك له الكل طيب عرف

كالنور في صبغة القناني
معنى له الكل كالمباني

وفيه كانت فصار فيها
نحن التقادير منه فيه

والقلب ينبيك عن بيان
كالكيف والكم والمكان

وليس غير الوجود فيها
وهو الوجود القديم صرفا

بقائم والجميع فاني
وماله في الوجود ثاني

وهو على ما عليه قدما
رآه موسى الكليم نارا

بلا انتقال ولا اختزان
عنه بدا الكل كالدخان

ولا اتصال ولا انفصال
ورام منه بأن يراه

ولا افتراق ولا اقتران
فجاء عنه لن تراني

ولا التفات ولا جهات
لكونه رائيا فلو لم

ولا زمان ولا مكان
يرى رآه اليه داني

ولا حلول ولا اتحاد
لكن علا شوقه عليه

ولا تناء ولا تداني
منه غدا مالك العنان

فان تكن فاهما والا
وزاد حتى أزال عنه

فدع كلامي لمن يداني
تثبتا كان في الجنان

ومنه قد صار في ذهول
وفي اندهاش لما يعاني
والشوق يوهي العقول جدا
في رؤية الاوجه الحسان
حتى اذا دك منه طور
وعاد في الصعق في اكتمان
أفاق مستغفرا منيبا
مسبحا طالب الامان
ماقال اني رأيت أو ما
رأيت اذ كان في عيان
كان محبا له فأضحي
محبوبه الرائق الدنان
وما عليه اختفى تبدى
لما جرا بلا توان
وصار يبدية كل شيء
قد كان أخفاه باجتنان
وللمثاني آيات حق
تظهر في نغمة المثاني
يذوقها كل ذي فؤاد
بنيل قرب الاله هاني
سماه بالغرام شقت
ورده صار كالدهان
يموت بالفكر ثم يحيي
بالذكر في القلب واللسان
ويستريب الجهول منه
والله يلقيه في امتحان
ولا تراه يعيش الا
في فرط ذل وفي هوان
وان يمت فالجزاء نار
لانه للضلال جاني
وبافتراء وباعتداء
أنكر حقا وبامتهان
ولا يضيع الاله شيأ
فكيف ايذاء ذي العيان

وقال أيضا :

أنا النور المبين ولا أكني
أنا التنزيل يعرفني ابن مني
يضل الله بي خلقا كثيراً
ويهدي بي كثيرا فاستبني
ولكن لا يضل سوى نفوس
بانكار بنت وبسوء ظن
واني الملك والملكوت فضلا
واني صخرة الوادي واني
ولما كنت منه بغير فصل
ولا وصل شهدت الكل مني
أحقق من أريد بعلم حقي
وأسكر من أشاء بخمر دني

وأسعد بالقا يوما وأشقى
بهجرى آخرين وبالتجني
مقامي ليس يحصل بالترجي
وحالى ليس يدرك بالتمني
وماباب الهبات ولا العطايا
بمسدود على أهل التهني
ولكن القلوب لها عليها
من الأغيار ينشأ كل كن
وبالتوحيد يعرف كل شيء
ويجهل كل شيء بالتثني
هى الابواب قدسدت جميعا
سوي باب فدع عنك التعني
وماأناشاعر وجميع نظمي
بعيد عن مدى شعر المغني
وميز بين الهام وشعر
وصرح بالمقام ولا تكني
ولا تكفر بجهلك في كلامي
ودعه لمن يوحد يامثنى
ولا تعجل علي مالست تدرى
فانك سوف تدري بالتأني
نصحتك فاستطع صبرا معي ان
سلكت عن الروافض نهج مني
تعالى أصلنا عن كل فرع
وجل عن التزوج والتبني
وكل فتي علي مقدار ماقد
سقاه بكفه الساق يغني
وحين رويت عنه روت بصدق
جميع رجال هذا العصر عني

النارجيل هو جنس من هذه الفصيلة يقال له قوقوس اي نارجيل ويسمى النوع المقصود لنا بالترجمة بهذا الاسم اى نارجيل وبالجوز الهندى وجوز الهند وباللسان النباتى قوقوس نيسيفيزا وهو نبات مسكنه بين المدارين وهو من أجل أشجار الكون لنفع جميع أجزائه في احتياجات الناس اذ بدونه لا تسكن جزائر الاوقيانوس الكبير الهادى ولا توجد مساكن في المتسع الكبير الاستوائي ولو لم يكن لماتوا جوعا وعريا فلذلك سمي النبات بملك النباتات اذ يخرج نبيذ وكؤول وخل وزيت وسكر ولوز ولبن وقشدة وحبال وأوانى وثياب وزنابيل وخشب . وهو شجر كالنخل من غير فرق الا أن وجه الجريدة فيه الى الاسفل ويقال انه اذا قطع لم يمت ويزرع ثمره قضبا وزمن غرسه نزول الشمس في الجوزاء ويثمر بعد سبع سنين وتبقى شجرته نحو ١٠٠ عام ويدرك ثمره اذا

نزلت الشمس الميزان وجذور هذا النبات قليلة التعمق في الارض متقاربة الفروع الكثيرة وطعمها أولا حريف ثم تصير قابضة تستعمل في الهند في الدسنطاريا المزمنة والاسهالات مسحوقة مع مسحوق الانيسون مدة ٨ أيام. وذكروا أن الجذع يعلو ١٦٠ قدما اذا كان قرب البحر وينقص علوه كلما بعد عنه وتتكون منه غابات جميلة المنظر في جزائر بوليتسيا والاوقيانوس تأوى اليها السياحون بعد التعب وفقد الزاد وتنفع جذوعها في العمارات والاثاث وغير ذلك وتحتوى أغصانها الصغيرة في باطنها على نخاع مأكول سكرى مقبول الذوق واذا كمل تكون السوق كأن خشبها الذى من الخارج قليل الشخن لكن شديد الصلابة مكونا من ألياف مستطيلة بطول الجذع ويصنع من تلك الاشجار حبال السفن لكنها أقل متانة من التيل وانما تبقى فى الماء أحسن منها. وأوراق النارجيل تطول من ١٥ قدما الي ١٨ وهي مركبة من وريقات متينة خضراء سهلة الانثناء يصنع منها مايصنع من خوص النخل وكل ورقة محاطة من أول منشئها بنوع شبكة خيطية هى الليف يستعمل مرشحا ومنخلا وتصنع منها ملبوسات وتسقط كل سنة مع الورقة ويبقى منها أثر على الجذع ويستعمل في بلاد الهند منسوجها القطنى لايقاف دم لدغ العلق. والزر الذي ينتهي به الجذع طرف لطيف المأكل يسمى أيضا بالجمار وهو ألطف من جمار النخل ولكنه مثله فيما اذا قطع ماتت الشجرة ويظهر أنه لايستخرج من الجذع الا قليل من نبيذ وينال من ثمره ابن أحسن من ذلك ويقال أن عصارته النباتية تركز فى بعض الاماكن فتنال منها مادة سكرية مسودة تربي مربيات. وأزهار النارجيل كثيرة بيض او صفر قد تؤخذ وتدق فينال منها سائل مائي يكون مشروبا لذيذا يتحول الى خل قوى واذا تفتحت كانت صدرية وقليل منها يتحول ثمارا والا لكانت الثمار عديمة الحصر. والجزء المهم من النبات هو الثمر وهو النارجيل الحقيقى وحجمه كبير ولونه مسود وشكله قريب للمثلث والشجرة يوجد فيها جملة أقناء كل قنو فيه نحو ٣٠ نارجيلة ويخرج النارجيل في غلف ليفية خارجة تسمي بالافرنجية كيير بفتح الكاف أو بسنان بفتح الباء.

يجهز منه بعد الدق والهرس نوع مشاق لقلفطة السفن وقد تعمل منه أقمشة غليظة وملبوسات وغير ذلك ثم فى داخل هذا الغلاف غلاف خشبي صلب وهو قشرة الجوز تستعمل بمنزلة الاواني وتعمل منها أكواب وأصحن تطلى بالأطلية وتزخرف ويقطر هذا الغلاف الخشبي فينال منه دهن شياطى يستعمل فى الهند لوجع الاسنان وفحم خلى قطبفى يستعمل فى صناعة التصوير ثم في داخل ذلك الجوزة وهي اذا كانت طرية كانت مملوءة بمادة مائية دهنية بيضاء مسكرة وكذا اذا ارتقى الى الشجرة وقد طلع الطلع قبل أن ينشق فيقطع طرف طلعة من طلعها ويلقم كوزا ويعلق العرجون فيقطر فيه من الطلعة الى آخر النهار الرطلان والثلاثة والخمسة بحيث يسمع حس القطر من هو فى أسفل الشجرة فيخرج في الكوز لبن ثخين حلو عذب يسكر سكرا مفرحا قويا فان ضرب الهواء شاربه طرحه بالارض وان شرب من لم يعتده أوضعيف المزاج أذهب عقله فان بات ذلك السائل ليلة صار خلا قاطعا أشد من الخل الاعتيادى يريا اللحوم الغليظة كلحوم الجواميس كذا قال أطباؤنا . وقال ميره لايجني الا الثمر الذي ليس من نضجه أقل من سنة اذ الثمار والازهار موجودة على الاشجار دائما فتختار والثماز الصغيرة الخضر الغير المغلفة اذا أريد أخذها بوصف كونها شديدة القبض ويستعمل مبشورها فى فيضان الدم وتدخل في مراهم تعالج بها الاوزيما فاذا اكتسب الثمر حجمه الطبيعى كان مملوءا بعصارة أى سائل أبيض يسمي لبن النارجيل بحيث تجعل الثمرة الواحدة منه رطلين ويمكن اخراجه منها بثقب الخروق الثلاثة التي فى قاعدتها وذلك اللبن عذب سكري فيه قليل حموضة فيكون مشروبا لذيذا مرطبا في البلاد الحارة التى ينبت فيها ويمكن ان يشرب منه مقدار كبير بدون سآمة بل وذكروا أنه نافع لآفات الصدر وذكر بعض الاوروبيين أنه شرب منه ٢٠ زجاجة في اليوم بدون أن يحصل له أدني كدر وهو المشروب الاعتيادى لمعظم قبائل بحر الجنوب. ويقال أيضا أنه مدر للبول وأما ميسون فاتهمه بأنه أحدث أكلا شديدا في الجنوريا وحرض سيلانا نوث الخرق بالسواد . ونساجز اثر أنتيلة يغسلن

وجوههن بهذا اللبن . وهو قابل لان يتخمر تخمرا كؤوليا بحيث يستخرج منه الكؤول أو الخل . ووجد فيه بالتحليل الكيماوى ماء وسكر وصمغ وكربونات ومريات ملحية وغير ذلك وكلما نضج الثمر اكتسب اللبن قواما وتيبس تيبسا لوزيا من الدائرة الى المركز فيتكون في الوسط بين أجزاء المتيبس والجزء الباقي على لبنيته نوع قشدة بلذ أكلها بالسكر وماء زهر البرتقان ويبقى في المركز دائما بعض لبن وفي بعض الاحيان لكن مع الندوة يتكون فيه جسم بيضاوي متجمد هو نوع بذر زهر نباتي ابيض مزرق كالصيني تنسب الاهالى له خواص طبية جليلة ويسمي ببلاد الهند كلابيت أو يقال كلابا ويسميه الاوربيون حجر النارجيل وتباع تلك التجمدات في الصين ويحملونها كالتمائم ويظنون انها تحفظ من الوقوع في كثير من الامراض واللوزة النضيجة تؤكل فتكون غذاء اعتياديا لاهالي الجزائر النابت فيها الشجر وهي شديدة البياض معتمة يابسة تشبه البندق في الطعم وتؤكل وحدها أو متبلة بالفلفل والخل وتدخل في الفطائر وغير ذلك ويدخلها أهالى بلادنا فى معاجين يستعملونها في العادة للتقوية ويعدونها في البلاد التى ينبت الشجر فيها عسرة الهضم ومع ذلك هى عندهم أقبل من غيرها ويعمل في جزائر أنتيلة مستحلبات ولعوقات وغير ذلك وتقوم هناك مقام اللوز الحلو ويستخرج من لوزة النارجيل دهن اذا كان جديدا جيد الاستحضار دخل في الاغذية فان عتق او كان ردىء التحضير استعمل للاستصباح. وسكان تلك البلاد يدهنون به فتصير رائحتهم كريهة ولو استعملوا الاستحمام كل يوم وكذا يدهنون به خيولهم ويستعمل في بلاد الهند لتحضير الصوقات وغيرها وهو مركب تركيبا كيماويا كما ذكر بعض الكيماويين من دهن زيتى سابح في العصارة اللبنية يستخرج بالعصر ويتجمد بسهولة ومن ماء وسكر سائل وزلال. ومن الكيماويين من استخرج منه زيتا يتجمد فى ١٥ درجة من مقياس ريومور فيكون ذلك زبدة نباتية وذكر مرسال صنفا من النارجيل يسمي ثماره بالنارجيل الملوكي ويحتوى على لبن تنسب له خواص مرطبة أعلي من خواص النارجيل الاعتيادى ومن أنواع النارجيل نوع يقال

له نارجيل البرزيل وبالسان النباتي قوقوس بوطراسيا ينبت بالبرزيل وامريكا الجنوبية مع أنه يوجد أصلا في الهند الذى هو بحسب الظاهر ينبوع النوع السابق وربما كان ينبوع هذا ايضا ثم نقل الى امريكا وزرع فيها وثمره اكبر من بيض الدجاج بيسير ولونه من الظاهر اخضر ويحتوى على لوزة اى نواة تؤكل ويستخرج منها دهن او زبد ابيض رائحته مقبولة يستعمل لتتبيل الاطعمة واذا عتق استعمل للاستصباح ويصح استعماله دواء مرخيا وملطفا . وذكر فوكس أنه يمكن تقليده بالصناعة بأن يصنع من الشحم الحلو الملون بالكركم والمعطر بارسافلورنسة ويوجد تحت الغلاف الليفي الظاهر لهذا الثمر لحم اصفر زعفراني رقيق عديم الطعم تأكله السودان وتحته قشرة يابسة محتوية على اللوزة التى ليس فيها خروق كخروق النارجيل الاعتيادى وهذا يدل على انه نوع آخر غيره. وذكر برون انه يسيل من قمة هذه الشجرة صمغ شفاف رائحته مقبولة يمكن استعماله في محل الصمغ العربي وتخاع الشجرة يؤكل بالملح كما قال برون ولم يذكر هذا المؤلف أنه يستخرج منه عصارة نبيذية اذ ثمره أصغر حجما من أن يجهز لبنا (من المادة الطبية)

النارنج هو نوع من أنواع البرتقال وقد استوفينا الكلام على زراعة البرتقال في مادته فلا يحسن بنا ان نعود اليها هنا ولكن يهم قراء دائرة المعارف أن يعرفوا أمورا كثيرة عن فوائد النارنج الصحية والدوائية لان ذلك يفيدهم افادات ذاتية خصوصا وهذه الاصناف تكثر فى بلادهم وتباع بثمن رخيص ويهملها الناس غفلة عن منافعها الجليلة أو يأكلونها أحيانا على سبيل التنقل ليس الا مع أن فيها من الخواص ما يجب الالتفات اليه .فنريد الافاضة فى الكلام عليها وليس أمامنا مصدر أوسع مما كتبه العلامة الرشيدى في مادته الطبية فانه ترجم كل مايمكن ترجمته مما يتعلق بهذا الموضوع فنعتمد عليه ايضا في ايراد هذا الفصل

(الفصيلة النارنجية) تسمى بالافرنجية أورنطياسية نسبة لجنس منها يسمى اورنطيون وقد تسمى ايضا اسبيرديه وانموذج هذه الفصيلة هو النارنج والليمون وتقوم من اشجار وشجيرات جميلة المنظر

تحفظ أوراقها فى جميع السنة دائما خضرا وتنبت في الاقسام الحارة من العالم القديم والجديد وتلك النباتات تنتشر فيها غدد كثيرة صغيرة حوصلية مملوءة بدهن طيار رائحته ذكية نفاذة وتوجد فى سمك الاوراق والكأس وفي النسيج الخاص التويج وفي الغلاف السميك المصفر المغطي الثمر من الباطن وتلك القاعدة المربحة هي التي صيرت تلك الاشجار رائحية منبهة بحيث ان اجزاءها المختلفة تؤثر تأثيرا منبها في البنية الحيوانية وهذا الفعل واحد في جميع نباتات هذه الفصيلة فكما يكون ايضا في اوراقها التي لها طعم مر عطري يكون ايضا في ازهارها الذكية الرائحة وفى القشور المرة الخارجية لثمارها حيث يكون فيها قليل حرافة وعطرية وكما توجد تلك الاوصاف فى أجزاء النارنج والبرتقال توجد ايضا فى غيرهما من نباتات الفصيلة ولب ثمار تلك الفصيلة متشابه في جميع نباتاتها حيث يكون دائما حمضيا تختلف حمضيته بالقلة والكثرة ومبردا مرطبا ففي البرتقال تكون تلك الحمضية مستورة بطعم سكرى وبمادة لعابية والعصارة المأخوذة بالعصر من هذا اللب قابلة للتخمر فيخرج منها سائل كؤولى أى نوع نبيذ يستعمل في بعض جهات الهند للشرب عند أهالى تلك البلاد

(نارنج) النارنج قال أطباؤنا هو اسم فارسي . انتهي . ويسمي بالافرنجية أورنجير وباللسان النباتي ستروس اورنطيوم أى الليمون النارنجي واشتهر عند العرب تسميته بشجر النارنج وشجر البرتقال فاسم الجنس ستروس من الفصيلة النارنجية كثيرة الاخوة عشرى الذكور واسمه آت من بلد اليهود يسمي ستروون فأخذ الرومانيون النوع الذي عرف أولا بأوروبا وسموه بذلك وهو يحتوى على عدد يسير من الانواع كثرت اصنافها وزادت بالزراعة والفلاحة حتى صارت زينة البساتين فى البلاد الحارة لجمال اوراقها البسيطة البيضاوية المتتالية البذور فيها نقط شفافة ناشئة من وجود حوصلات مملوءة بدهن طيار وخصوصا للعانها حتى كأنها مدهونة بطلاء زاهو وخضرتها الدائمة وذكاوة ازهارها ومنفعة ثمارها اللطيفة وأصلها من الصين وجزائر الهند والجزائر المتفرقة في وسط الاوقيانوس الهادى واستنبت بكثرة في جميع الاقاليم حتى فى الاماكن الباردة

باحداث حرارة صناعية حولها وأنواع هذا الجنس اشجار وشجيرات مريحة ودائما خضر ومنظرها جميل وأوراقها متعاقبة بسيطة كاملة أو مسننة أو عديمة الزغب ومتصلبة في قمة ذنيب بسيط أو متسع على شكل أجنحة في جوانبها وكثيرا مايوجد في قاعدة اوراق الانواع البرية وبعض الانواع المستنبتة شوكة مستطيلة تختلف خشونتها وكأنها أذينة وحيدة الجانب والازهار في الغالب بيض أو وردية متوسطة العظم ويتصاعد منها رائحة شديدة الذكاوة وتنضم غالبا جملة منها مع بعضها في طرف الاغصان الصغيرة والثمار فيها جميع مايمكن من التنوعات أى من مقدار الكرز الى رأس الطفل وأما شكلها فيختلف ايضا بحيث يتعسر شرحه بالضبط ولكن تلك الثمار اذا وصلت لتمام نضجها كان لونها من الظاهر اصفر زاهيا والنوع الذى يستدعي وضع أسماء مخصوصة لها يؤخذ أصله من الالوان الاولية الاصلية التي يتشكل بها الطيف الشمسى وطعم المنسوج اللبي يختلف كثيرا باختلاف الانواع والاصناف ولكن الغالب كونه حمضيا كثيرا أو قليلا بسبب وجود حمض مخصوص فيها وسمي لاجل ذلك بالحمض الليموني وقد يكون الطعم السكري متسلطا كما في البرتقال الحقيقي وقد يتسلط الطعم الحمضي وفى بعض الاحيان يكون تفها وفى بعضها يكون مرا وغير ذلك وقد ذكرنا ان أنواع هذا الجنس قليلة ولكن يعسر تعيين صفاتها بالضبط نظرا لكثرة الاصناف التي حصلت لكل نوع منها بالزراعة في الازمنة السالفة الى الآن وقد اشتغل المؤلفون بتحديد ذلك وسيما العالم النباتي المسمي ريصو بكسر الراء فاختار أولا في رسالة ألفها خمسة أنواع : الاول سماه ستروس ميدكا واليه تنسب النباتات التي تسمي سدرات أو سدروت وأصله من آسيا واستنبت قديما فى جنوب أوروبا الشمالية والثاني ستروس لميطا بكسر اللام وفتح الميم واليه تنسب نباتات البرجموت ولتمييز أى الليمون الحلو وأصله من آسيا واستنبت بايطاليا والثالث ستروس ليمونيوم وأصله من آسيا واستنبت بأوروبا الجنوبية وينسب اليه اصناف الليمون او النترون الرابع ستروس أورنطيوم وينسب له جميع أصناف البرتقان الحلو وأصله من الهند والخامس

ستروس ولجارس وهو المسمي بيجرد أى الكباد وينسب اليه أصناف البرتقان الذى ثمره مر واختار تلك الانواع الخمسة دوقندول . ثم ألف ريصو كتابا آخر ترك فيه هذا التقسيم واختار ثمانية أصول رئيسية وتبعه ريشار في القاموس الطبي فذكر أصناف النارنجيات الكثيرة الوجود في البساتين فأولا أورنجير ذو الثمر العذب وثانيا بيجرديير أو أورنجير ذو الثمر المر وثالثا رجوتيير ورابعا لمتيير وخامسا بمبلموس وسادسا لومى وسابعا ليمونيير وثامنا سدرتيير. ولنخص كل واحد منها بفصل مخصوص وقبل أن نشرع في ذلك نذكر تقسيم ميره

قال هذا الماهر : هناك نوعان رئيسيان أحدهما أورنجير المسمى عند لينوس ستروس أورنطيوم وأزهاره بيض من الظاهر والباطن والاوراق لها ذنيب مجنح والذكور ٢٠ تقريبا والثمار كرية ولحمها عذب وقشرها رقيق محمر غير ملتصق وثانيهما سترونير أى ليمون ويسميه لينوس ستروس ميدكا وازهاره بيض من الباطن وحمر من الخارج وأوراقه عديمة الذنيب والذكور من ٣٠ الى ٤٠ والثمار مستطيلة ولحمها حمضي وجلدها يختلف ثخنه وهي صفر زاهية ملتصقة فالنباتات الليمونية تنقسم الى ٣ اقسام ثانوية الاول ليمون وبالافرنجية سترون وهو عند ريصو ستروس ليمونيوم وثمره مستطيل وقشره أملس رقيق وله شديد الحمضية . والثاني سدرات وهو داخل فيما سما ريصو ستروس ميدكا وثمره مستطيل وغير مستو وقشره ثخين جدا وله حمضي. والثالث برجوت وسماه ريصو ستروس لميتا وثمره كرى صغير وقشره متين وله عذب . وأما النباتات البرتقالية فلا يعرف لها الا أصلان رئيسان أحدهما البرتقان الحقيقي الذى سماه ريصو ستروس أورنطيوم وثمره كرى وقشره رقيق أملس ولحمه عذب وثانيهما الكباد المسمي بالافرنجية بيجرد ويسمي عند ريصو ستروس ولجارس وثمره كرى وقشره رقيق خشن ولحمه حريف مر. ويوجد لهذه الاصول أصناف كثيرة سموها بأسماء مختلفة لكن اهتمام الاطباء بها قليل ثم مع الاشتغال الكثير للنباتيين لم يزل هناك اشتباه واختلاط في تلك الانواع والاصناف

(الفصل الاول في النارنج والبرتقان)

النارنج ومعه البرتقان بل الشرح المذكور هنا شرح شجرة تسمى بالافرنجية أورنجبير وثمارها أورنج واسم النبات باللسان النباتي ستروس أورنطيون

(صفاته النباتية) هو شجر جميل يكون دائما اخضر وجذعه اماس اسطواني متفرع حتي من قاعدته احيانا وأوراقه متعاقبة وحيدة بيضاوية تكاد تنتهي بطرف دقيق وهي كاملة خالية من الزغب لماعة من وجهيها واذا وضعت بين العين والضوء شوهد فيها نقط صغيرة شفافة فهي حوصلات مملوءة بدهن طيار مقبول الرائحة وتلك الاوراق مفصلية مع الذنيب الذي طوله تقريبا قيراط مجنح من حافتيه والازهار بيض كبيرة علي هيئة باقات لكن بعدد يسير في أطراف الاغصان ويتصاعد منها رائحة ذكيه معروفة الكل أحد والكاس قصير جدا مسطح ذو ٥ أسنان عريضة حادة والتويج ذو ٥ أهداب تقرب لان تكون ناقوسية والاهداب ايلبسية مستطيلة منفرجة الزاوية عديمة الحامل فيها سمركة ولحمية قليلا وفيها جملة غدد حوصلية شفافة والذكر نحو ٢٠ نصفها أقصر من التويج وهو قائمة متقاربة لبعضها بجوانبها ويقوم منها أنبوبة واسعة من قمتها وهي متدغمة كالذكور حول قرص سفلي الاندغام على شكل حوية تحت المبيض والاعساب بيض منضغطة قليلا ومنضمة ملتصقة اثنين او ٣ معا والحشفيات مخفية في باطن الزهرة قلبية الشكل حادة وعضو الاناث مركزي طوله نحو طول الذكور والمبيض بيضاوي يقرب للكرية ذو ٨ او ٩ او ١٠ مساكن يحتوي كل منها على بزرات عددها من ٤ الى ٦ مرتبطة بالمحور والمهبل غليظ جداً اسطواني منته بفرج ثخين مستدير كرمي مصفر القمة قليلا والثمر هو المسمي برتقان أو نارنج مستدير فيه بعض الضغاط ولبه عذب سكري فيه بعض حمضية. فالمسمى نارنج اما حلو واما مالح والحلو كثير السكرية قليل الحمضية جدا والمالح كثير الحمضية قليل السكرية وهذا النبات أصله من الهند والصين وانتقل من هناك الي بلاد العرب ومصر والشام ثم أتي الى ايطاليا وبرونسة والى امريكا. قال ميره ويظهر أنه كان غير معروف للرومانيين وانما كان عندهم الليمون واستنبت بفرنسا في القرن الحادي عشر العيسوي وما زالت

زراعته تمتد شيأ فشيأ حتي صار كما هو الآن لكن ذكر ريشار في القاموس الطبيعي أن النارنج كان معروفا في الخرافات القديمة حيث نمت تلك الاشجار كما قيل في بستان اسبيريد التي كل مدينة قديمة يوجد من آثارها برقة ويقال ان اكثر الشعراء خرجوا منها ولذا سميت الفصيلة اسبيريدية ايضا. وذكر في التاريخ القديم الخرافي ان من اعمال هركول انه أخذ من بستان اسبيريد واختلف العلماء في محل هذا البستان الشهير فبعضهم جعله في الجزء الغربي من افريقية بقرب جبل الاطلس وبعضهم جعله في مورتانى والغالب كونه في جزء افريقية المبتل بمياه البحر المتوسط وعلي رأي سلسيوس ان النارنج انتقل من جبال مورتاني الى ميديا ومن هناك الى بلاد اليونان وايطاليا واستبعد بورى مجيئه من آسيا الى أقاليم البحر المتوسط وانما كان مجيئه من اسبيريد ونظر في قناريا ومادير فعلم أن النارنج تطبع هناك اذا لم يكن اصله من هناك وأما البرتقان ذو الثمر العذب فاتفق المؤلفون علي ان اصله من الاقاليم الجنوبية للصين وجزائر بحر الهند ومريان ومن جزائر متفرقة في الاوقيانوس الهادي واغلب المتأخرين يقولون ان البرتغاليين هم الذين أدخلوه اوروبا ولعل هذا هو السبب في تسميته برتقان لان هذا الاسم غير عربي وغير موجود فى كتب اللغات وهم يقينا انتشروا في الجزائر المذكورة ورسوا عليها ولذا توجد الي الآن أشجار برية من الليمونيات فى موريس ومسقرنيو وغيرهما وزعم بعضهم أن العرب هم الذين أدخلوه بلاد اليونان وجزائر بحر الروم وايطاليا ومهما كان فقد استنبت الآن جيدا وتطبع في الاقسام الجنوبية من اوربا بل تطبع ايضا بجزائر انتيلة وامريكا الجنوبية وافريقا الشمالية واستنبت بفرنسا وايطاليا واسبانيا اى الاندلس وبلاد اليونان ولكن هو كثير جدا ببلاد الاندلس وما حاذاها حيث تتكون منه هناك أشجار كبار تحصل منها غابات حقيقية وبساتين جليلة كبيرة نشأت منها ثروة أصحابها ولم يزل بقرطبة أشجار منها في أراض كانت بساتين لملوك العرب الذين ملكوا تلك البلاد حتي ان منها ما عمره من ٦ أجيال الى ٧ ولما أخذ جذعها فى الاضمحلال اضطر لاسناده بعض

فروع من الاشجار كذا ذكره بورى وذكر أيضا ان شجر البرتقان لا يكون مناسبا لشيء من أنواع الحراز فقشره لايتحمل نوعا منه وأجود البرتقان ذو الثمر الحلو يكون عندنا رقيق القشر أملس لامعا عظيم الحجم وكذا يكون في مالطة وبلاد البرتغال . وأما برتقان أسور فهو صغير ولكن مع الجودة وأما ما يكون ثخين القشر خشنه فيندر كونه جيدا. ولحم البرتقان قد يكون احيانا ملونا بلون احمر نبيذي وما يكون كذلك يكون اكثر حلاوة وهذا موجود ببلادنا والكلام على ثمار البرتقان حقه ان يذكر في المعدلات ولكن حيث أردنا استقصاء أجزاء النارنج والبرتقان وغيره من هذه الفصيلة هنا فلا لوم وكلما دخلت في رتبة من رتب الادوية يناسبها شيء من تلك الاجزاء تحيل على هذا الموضع فاذن نقول البرتقان ثمر جليل طعمه سكري ممزوج بطعم حمضي مقبول جدا مرطب ومن خصائصه حفظه زمنا ما بحيث يسهل نقله لمحال بعيدة فلذا يمكن وجدانه في جميع البلاد ولكن الذي يراد نقله لمحال بعيدة يلزم اجتناؤه قبل تمام نضجه حتى قالوا ان ماينقل من برونسة الى باريس في شهر ديسمبر ليباع في الايام من السنة يكون اخضر بالكلية حينما يوضع في الصحارات

(قشر ثمر النارنج والبرتقان) نعني بذلك القشرة الظاهرة للثمر أي جزء الثمر الاصفر المتعري حسب الامكان من المادة البيضاء العديمة الفعل الموجودة تحته وتلك القشرة غير مستوية أي خشنة فيها غدد مملوءة بدهن طيار ويكفي هرسها بين الاصابع لينقذف منها هذا السائل القابل للالتهاب بعيدا عنها وينال هذا الدهن من تلك القشور بتمزيق الخلايا المحتوية عليه ويجني مايسيل منها وقد يستخرج منها أيضا بالتقطير في الماء ويسمى الدهن الطيار النارنجي أو البرتقاني

(صفاته الطبيعية) هذا القشر يكون على شكل قطع مسطحة صفر قاتمة خشنة مقطبة من وجه وذلك ناشيء من وجود العدد الكثير من الغدد المحتوية في الرطوبة على مقدار كبير من الدهن الطيار وطعمها مر عطري حار لذاع ورائحتها مقبولة جدا

(خواصها الكيماوية) يحتوي هذا

القشر كما علمت على دهن طيار كثير محوى في حوصلات كثيرة تصيره شفافا وكالمنخل وذلك الدهن قريب الشبه من دهن الازهار ولكنه أنقى منه واذا ضغط على القشرة تجاه شعلة ضوئية احترق الدهن الخارج منه ناشرا رائحة مقبولة وكذا يحتوى القشر على مادة شديدة المرار والماء والكؤول يأخذان قواعده الفعالة ويستخرج الدهن الطيار من قشر ثمار أنواع النارنجيات باحدي طريقتين فتارة بالتقطير وتارة بالعصر وتقوم هذه الاخيرة من تحويل الجزء الاصفر من القشر الى اب بالحك الناعم بمحكة ثم تعريض ذلك للضغط في منسوج من الشعر فينال سائل ينفصل الي طبقتين احداهما سفلي مكونة من ماء وبعض بقايا وثانيتهما عليا هى الدهن الطيار الذى يكون ملونا دائما وذكي الرائحة جدا اكثر من الدهن المستخرج بالتقطير وهو قليل الثقاوة لان في محلوله بعض أجزاء ثابتة وبذلك لايكون أهلا لازالة النكت من الثياب لان الدهن وحده يتصاعد وتبقى المادة الملونة ثابتة على المنسوج (انظر مبحث الليمون)

(تحضير القشر) يجفف قشر البرتقان أو النارنج بعد تعريته حسب الامكان من الجوهر الابيض المتطي لسطحه الباطن

(الجواهر التى لا تتوافق معه) كبريتات الحديد ومقوع الكينا الصفراء وماء الكلس

(الاستعمال) هذا القشر الكثير العطرية الحار الطعم يدخل فى كثير من المستحضرات الافرباذينية ويعمل منه منقوع بأن يؤخذ منه جافا درهم أو ٢ لاجل رطلين من حامل مغلى وقد يركب من هذا المغلى شراب يقال له شراب البرتقان وهناك فرق عظيم بين تأثير هذا الشراب وشراب ماء زهر البرتقان

قال ربيير شاهدت استعمال الشراب الاول جملة مرات غلطا عن الشراب الثاني فخرض احتراقا مؤلما في القسم المعدى بل وفى الصدر وقلقا وضجرا وأحدث قيأ مع أن شراب ماء الزهر لم ينتج شيأ من هذه العوارض والدهن الطيار المحوي في هذه القشور يفيدها خاصة التنبيه فأجزاء هذا الدهن تؤثر في المنسوجات الحية فتثير الحركات العضوية ولا تنس

فعل هذه القوة المؤثرة اذا دخلت تلك القشور في تركيب أفرباذبني ولو على سبيل التعطير وكلما كان القشر أرق كان أعظم اعتبارا وكلما كان شحم البرتقان المغطي به أجود ويجفف القشر ليوضع في العطريات وفي مشروبات الموائد المشهورة بأنها مقوية للمعدة وهاضمة وطاردة للريح واشتهر كونه مضادا للديدان وغير ذلك ويدخل في الشراب المضاد للحفر وفي الروح الطارد للرياح السلفيوس وفي الصبغة المقوية للمعدة وغير ذلك ويربى وتعمل منه عجائن وغير ذلك وذكر أطباؤنا أن قشر الثمر الخارج اذا جفف وشرب منه وزن درهم ونصف بماء حار أزال مغص الفؤاد حالا وسكن القيء والغثيان واذا شرب مع زبت وماء حار أخرج الدود الطوال واذا نقعت القشرة وهي رطبة في دهن وسيا السيرج وشمست ٣ أسابيع نفعت في كل ماينفع فيه دهن الناردين واذا شرب منه مثقالان نفع من لدغة العقرب وسائر نهش الهوام الباردة السموم وكذا حبه نافع من سموم الهوام كما أن الحذور الدقاق للشجرة اذا جففت وسحقت وشربت بشراب كانت من أنفع الادوية النافعة من السموم الباردة القاتلة والاوربيون يسمون باسم أورنجيت اي النارنج الصغير او البرتقان الصغير ثمار النارنج او البرتقان التي تجنى بعد تكونها بزمن يسير وقبل ان تبلغ مقدار حجم الكرز وأكثر ماتجني من الثمار الساقطة بعد تزهرها بزمن يسير وطعم تلك الثمار مر عطري وفيها خاصة التقوية والتنبيه واضحة وتقوم مقام الحمض في التغيير على جرح الحصة ولا تستعمل في فرنسا الا في ذلك . اما في انكلترة فتستعمل كقشر النارنج وتدخل في تركيب كثير من الادوية ويستخرج منها بالتقطير دهن طيار يسمى بدهن النارنج الصغير وخشب النارنجيات صلب مندمج معرق معروف وقابل للصقل الجيد ويعمل منه شبه حمص صغير للحمصة يستعمل كاستعمال الثمار الصغيرة

(المقدار وكيفية الاستعمال للقشر)

مقدار مسحوقه من نصف درهم الي درهمين ومنقوعه من درهمين الى ٣ لاجل رطلين من الماء المغلي ومنقوعه المركب يصنع بأربعة غرامات من ذلك القشر وغرامين من مطبوخ قشر الليمون الرطب وغرام

من القرنفل و١٢٨ من الماء المغلى والمقدار للاستعمال من درهم الى ٤ دراهم يكون ذلك مرتين او ٣ في اليوم والصبغة النارنجية تعمل بأخذ ٣ من القشر ٣٢٠ من الكؤول والاستعمال من درهم الى درهمين والماء اليموني النارنجي من اوقية الي ٤ والشراب النارنجي من اوقية الي اوقيتين والمعجون النارنجي يصنع بأخذ غرام من قشر النارنج الرطب و ٣ من السكر والاستعمال من درهمين الى ٤ والدهن الطيار للقشر من نقطتين الي ١ نقط والدهن السكري النارنجي مثله ثم ان اوراق النارنج والبرتقان وأزهارهما يلزم ذكر ما يتعلق بها من مباحث العلاج في مضادات التشنج ولكن أردنا استيفاء جميع أجزاء النارنج هنا واذا وصلنا لمضادات التشنج نحيل الكلام في تلك الاوراق والازهار على ماهنا

(أوراق النارنج والبرتقان) قد علمت ان رائحة هذه الاوراق عطرية تتصاعد منها وتزيد اذا دلكت بين الاصابع وطعمها حار مروي مملوءة بغدد حوصلية تشاهد اذ وضعت بين العين والضوء ويدخل في تركيبها ايضا مادة خلاصية ومادة تانينية ويلزم ان تجفي وهي في أعظم خضرتها ويطرح منها ما كان متغيرا وما كان عتيقا على الشجر وما يسقط بنفسه ويلزم ان تجفف منعزلة عن بعضها في محل يضطرب فيه الهواء في الظل رصناعة العلاج نجد في هذه الاوراق خاصة مزدوجة فيوجد فيها أولا قوة منبهة من دهنها الطيار وثانيها قوة مشددة أي مقوية عامة يظهر أنها ناشئة من المواد الاخر ويلزم ان ينسب لفعل هاتين القوتين المنافع التي تنال من استعمال تلك الاوراق في ضعف المعدة وبطء الهضم وعدم انتظامه ونحو ذلك ويكتفي عادة في تلك الاحوال باستعمال منقوعها وحده قبل الاكل او مع نبيذ عند الاكل فهذا الدواء يقوي وينبه عضو الهضم فيزيد في فاعليته وشدته في آن واحد وتستعمل تلك الاوراق كثيرا في الامراض العصبية فبعض أكواب من منقوعها كثيرا ماتنجح لازالة ثقل الرأس المصاحب لضعف القوي العقلية والادبية والكسل وغير ذلك ومن المعلوم يقينا أن تجربة نافعها صيرتها دواء عاميا مستعملا عند العامة من غير استشارة الطبيب في

كثير من الآفات الحيوية والتقلصات الاستيرية اي الاختناقية والتضايقات الوقتية والخفقانات القلبية والهبوط العصبي والآلام والتضايقات المعدية ونحو ذلك مع أنه يظهر من حال الاعضاء التي تظهر فيها تلك العوارض أنها سليمة وانما التأثير الغير المنتظم للنخاع المستطيل للامتدادات الفقرية وخصوصا للاعصاب العقدية هو الذى كدر الحركات الاعتيادية لتلك الاعضاء وحرض الافعال الغير المنتظمة الحاصلة منها فاذا كان هذا التغير في التأثير العصبي ناشئا من سبب خفيف بحيث يكفي لاذهاب هذا السبب تنبه يغير الاستعداد الحاضر للجهاز المخي الشوكي كانت تلك الاوراق دواء قوي الفعل لكن أليس لتلك الاوراق في تلك الحالة فعل خاص على المراكز العصبية ؟ أفلا ينسب لها هذا الفعل الذى أرجع هذه المراكز لحالتها الاعتيادية وصار حينئذ هو الخاصة المضادة للتشنج ؟ فاذا كانت هذه العوارض ناشئة من عمل التهابي في بعض محال من أغشية المخ او النخاع الشوكي او الجوهر النخاعي للنصفين المخيين او الامتدادات الفقرية فان تلك الاوراق لاتناسب حينئذ بل تولد ظاهرات جديدة عصبية يبعد أن تسكن الاعراض الموجودة فالتهيج البسيط في الجوهر النخاعي للمخ والنخاع الشوكي يغير النتائج التي تنتجها في العادة أوراق البرتقان قال برمبير شاهدت ان هذه الاوراق بتأثيرها فى الرأس سببت هيئة سكر واعراضا غريبة في النساء المختنقات اللاتي يستشعرن بعمل التهابي في المخ وحصل لهم على طول السلسلة الفقرية آلام سعت للقسم المعدى وتضايق يظهر أنه حاصل من الحجاب الحاجز ووخرات منتشرة مبهمة فى الصدر وفى البطن ونحو ذلك وشاهدت أن كونه من منقوع هذه الاوراق المقوي المتحمل حصل منه اضطراب وحالة سبات وهيئة اندفاع توجه للقلب والرأس وكانت مصاحبة لحرارة قوية لكن هذه النتائج لاتحصل الا للاشخاص الموجود في مراكز جهازهم العصبي حساسية متزايدة وحالة مرضية لاتشاهد فى الاشخاص الذين جهازهم المخي الشوكي فى حالة اعتيادية ولو استعملوها بمقدار كبير كما تيسر لى تأكيد ذلك في البحث عن دواء مضاد للحمى في تلك

الاوراق حيث اعطيت مسحوقها بمقدار درهمين في مرة واحدة. وقال بربير أيضا استعملوا تلك الاوراق علاجا للصرع وظنوا أنهم وجدوا منها دواء مضادا لهذا الداء . وأقول قد اتضح نجاح أحوال تأكد فيها الوثوق بتلك الاوراق في هذا الداء عند بعض الاطباء ففي جميع المصروعين الذين باشرت احوالهم انتهي الحال معي بكشف آفة دائمة فيهم وتلك الآفة هي التي حرضت الآفات النوبية التي ينسب لها النوب الواصفة للصرع ويمكن ان تكون تلك الآفة التهابا مخيا جزئيا أو ورما في أحد عظام الجمجمة او ورما ناميا في الاغشية المخية ضاغطا علي الجوهر المخي او درنا او خراجا في ذلك الجوهر او نحو ذلك ويمكن ان يكون مجاس تلك الآفة في القلب اذ كثيرا مايشاهد في المصروعين ضخامة البطين الايسر او اتساعه واتساع الفتحة الاورطية ولكن في وقت النوبة تظهر آفات أخر فتحصل في الضفائر العصبية للعظيم الاشتراكي تركزات حيوية تثير فيها نوع حركة تذهب في القسم الحجابي الحاجز الى الصدو فاذ نفذت في الجمجمة حصل في القسمين المخيين احتقان دموى وغير ذلك في الآفة التى تعالج بتلك الاوراق من تلك الآفات . نقول هي لا فعل لها فى معظم الآفات المستدامة التى توجد فى المصروعين لكن يمكن بتلك الاوراق التحرس من ظهور الآفات النوبية فتمنع حصول النوب . والاعتبار في هذا هو المقدار المستعمل من تلك الاوراق الموجهة قوتها المؤثرة لمعالجة الصرع والتشنجات فاذا اختير مسحوقها استعمل منه كل يوم من درهمين الي أوقية بلوعا او معجونا فاذا اختير مغليها وضع مقدار من ٣٠ الى ٣٩ ورقة بل اكثر وتغلي في لتر ونصف من الماء حتى ترجع الي لتر واحد ويشربه المريض في مدة النهار واستعمل بعض الاطباء ١٢٠ ورقة في ٢٠ اوقية من الماء واضاف لهذا المغلى شيئا من نبيذ احمر وسكر ومن المعلوم جيدا ان تلك الاوراق اذا استعملت بمقادير كبيرة فان الفعل اى التأثير الحاصل منها يكون عاما فقواعدها تصير المخ والامتداد الفقرى فى حالة جديدة وتقاوم في كثير من الاحوال الاندفاعات التى تخرجها عن الانتظام

وتمنع تولد الآفات النوبية. وقبل ان يعرض المصروع للعلاج بأوراق البرتقان كثيراً مايضطر لتهيىء جسمه والتحرس من الاخطار التي يمكن ان تصدر من تنبه فجائي شديد في جميع المنسوجات العضوية فاذا كان ممتلئا عولج بالفصد المناسب وكثيرا مايضطر للاستحمامات ونحو ذلك ولا تنس أنه يلزم غاية الاحتراس في علاج الآفات العصبية والتشنجية ونحو ذلك اذا انحط الرأى على ايقاف سير العوارض المرضية او ازالة شدتها بدواء من الادوية اذ هذه الامراض تكابد بطبيعتها ترددا وتقطعا بدون معرفة سبب ذلك فيلزم خصوصا في الصرع والتشنجات والتقلصات ونحوها ان لا تنسب التحسينات التي تعرض مدة استعمال الدواء الطبي لذلك الدواء وانما تنسب للطبيعة وحدها ومعناه أن نسبتها للدواء المستعمل مشكوك فيها . قال بربير ايضا قد استعملت مسحوق هذا الدواء كدواء مضاد للحمى فرأيت أن مقدار درهمين في نصف كوب من نبيذ او من ماء سكرى سبب أولا ثقلا في الجسم المعدي وضيق نفس وقطع الشهية وآثار القاس والقرف من الاغذية مدة ساعات وما شاهدت منه الغثيان والعطش الا نادرا ثم عرضت قولنجات وحركة في البطن بدون استفراغ ثفلي وحصل لبعض المرضي في اليوم التالي اسهالا ولما أعطيت هذه الاوراق بهذا المقدار لم يتعرض منها ظاهرة مخيفة ولا تكدر في ممارسة الحواس ولا في الادراكات ولا في القوى العقلية وأوراق البرتقان أو النارنج واسطة ضعيفة في علاج الحميات المتقطعة فاستعمالها يكاد لا يحدث تنوعا في النوب وزيادة على ذلك ان المقدار اللازم اعطاؤه في ذلك كبير جدا بحيث يعسر تناوله فتقذفه المرضى ويكرهون استعماله انتهي

(الاجسام التي لا تتوافق مع تلك الادوية) كبريتات الحديد ومنقوع الكينا الصفراء وماء الكلس

(المقدار وكيفية الاستعمال) قد علمت مما سبق أن أوراق البرتقان والنارنج تستعمل مسحوقة بمقدار من ١٢ قمحة الى غرام بل اكثر في مرة واحدة واذا أريد منها نتيجة عامة استعملت بمقدار درهمين الى نصف أوقية ومنقوعها يصنع بمقدار درهمين لاجل رطلين من الماء

وكذا مغليها أى مطبوخها الا أن المطبوخ لايحتوى الا على يسير من جزئها العطري وانما يوجد فيه بالاكثر قواعدها المرة وأما المنقوع فيحتوي على جميع الجزء العطرى ولذا كان أعظم. وكثيرا ماتجمع مع الزيزفون والمياه المقطرة للاوراق مثل المياه المقطرة للازهار كما ان معظم مستحضرات الاوراق كالازهار سنذكرها في مبحثها الآتي على الاثر

(أزهار النارنج والبرتقان) هى ازهار النبات المسمى ستروس أورنطيوم كما سبق وهذه الاهداب الزهرية المتعرية عن الكاس أو غيره من أجزاء الزهرة شديدة الرائحة وفيها مرار يسير والعطر المتصاعد منها معدود من أجل الاعطار المعروفة لكن لا ينبغى استنشاقه في بيت صغير مغلق وسيما في الليل خوفا من الاختناق ويجني ذلك الزهر طريا لاجل استعماله لانه اذا جف فقد جزءا عظيما من عطريته بحيث لايعرف حينئذ وفي البلاد الحارة لايكون لاجتناء الازهار وقت معلوم فقد تجنى فى معظم السنة لكون الشجرة تحمل منها دائما كما تحمل من الثمار كذلك فلذا لا يجني الا جزء من تلك ويترك الباقي على الشجرة ليصير ثمرا كاملا اما في اوربا فلا ينضج من تلك الثمار الا يسير. كذا قال أطباء الاوربيين مع ان اجتناء الازهار له في بلادنا وقت معلوم وهو أوائل الربيع ويجمع من تلك الازهار الساقطة تحت الشجر مقدار كبير يجمعه الزراعون ويبيعونه للتعطير ولا يأخذون مما على الشجر الا اليسير بل لايأخذون شيأ وذكروا أن الشجرة في نيس من اعمال فرنسا قد يؤخذ منها من ٢٠ الى ٣٠ رطلا من الزهر ويؤخذ منها من نضيج البرتقان الف وربما ارتفعت الشجرة هناك من ٤٠ الى ٥٠ قدما فرنساويا ويقال ان في فينال من اعمال ايطاليا ايضا قد يؤخذ من الشجرة الثمار من ٥ آلاف الى ٦ آلاف في السنة

(الخواص الكيماوية) يستخرج من زهر البرتقان أو النارنج بالتقطير ماء مقطر تختلف صفاته باختلاف البلاد الآتى منها فمنها مايكون فيه دهن ومنه مالا يكون فيكون صافيا شفافا واذا سد بخشب الخفاف حمض وفسد وصار شديد المرار وأكد هنرى أن الماء المقطر

بالبخار لايحمض ولا يرسب منه ندف ولا ينفصل منه دهنه بل يبقى محفوظا جيداً وذكر روبل أنه يمكن تحضير هذا الماء فى كل وقت ويكفي لذلك تحويل الزهر الى عجينة في ربع وزنه من الملح عند اجتنائه ويجعل ذلك المخلوط في قنينة يؤخذ منها عند الحاجة فيمكن تقطير هذه الازهار بعد جملة سنين فيكون الماء ذكي الرائحة كما يحضر من الازهار الرطبة وأكد ذلك سلفير أيضا

(الاستعمال) الفعل المنبه للازهار قليل الشدة ولكن يؤثر تأثيرا واضحا علي المجموع العصبي كتأثير مضادات التشنج فيستعمل منقوعها ومقطوعها لمقاومة الآفات العصبية والاكثر استعمال مائها المقطر فيستعمل هذا الماء المر الطعم وحده كثيرا بالملاعق الصغيرة أو يضاف على مشروبات المرضى وقد يكون هو الحامل في كثير من الجرعات ويخدم ايضا لتعطير المربات والسكريات والمياه السكرية التي تستعملها الناس بعد الاكل لتقوية الهضم أو لدفع التكدرات الوقتية فتصير بذلك تلك المشروبات نافعة مقبولة وقد يحول ذلك الماء الى شراب ويركب أيضا من هذه الازهار عنبرى مقبول وكؤولات وتلك الازهار تحتوى على دهن طيار لطيف ثمين أشقر اللون حريف قوى الرائحة ينال بالتقطير ويسمي في بيوت الادوية بدهن زهر النارنج والبرتقان (دهن نيرولى) ويحتوي هذا الدهن على رأى بليصون علي مادة قابلة للتبلور يمكن أن تعد في الاجسام الدسمة ولها خواص تميزها عن الاجسام الشبيهة بها مثل امبريتين وقولسترين وغير ذلك . كذا قال ميره . وقال سوبيران النيرولى أى دهن الزهر يحتوي على دهن صلب قابل للتبلور كشفه بليصون وسماه أورادو فصله بوضع النيرولى في الكؤول الذي في ٨٥ من مقياس الكثافة لجيلوساك وتركه ساكنا مدة أيام . انتهي ووجد بوليبه فى تلك الازهار غير الدهن الطيار قاعدة صفراء مرة تذوب فى الماء والكؤول ولا تذوب في الاتير ومادة صمغية وزلالا وخلات الكلس وحمضا خليا زائد المقدار . ويحقق بلنس انه يوجد فيه كبريت كما وجد بوليبه أيضا في هذا الدهن المادة المذكورة التى تتجمد وتصير دسمة كبياض القيطس أى من السمك وليس لها رائحة

ولا طعم وهى المادة التي ذكرها بليصون وهذا الدهن الطيار يخدم لتعطير مستحضرات دوائيـة مختلفة مثل بلسم أبودلدوك وغيره والمـاء المقطر يؤثر على الاعضاء الحيـة تأثيراً منبها خفيفا فاذا استعمل بالملاعق الصغيرة سكن أو أضعف العوارض التشنجية الناشئة من تغيير تأثر الاعصاب على الاعضاء الرئيسة وأذهب التضايق والقيء والتجمعات الهوائية في الامعاء والقولنجات والخفقانات القلبية وجميع أنواع الحركات التشنجيـة ونحو ذلك مع أن الادوية المنبهة الاخر قد لا تنجح في هذه العوارض أفلا ينسب احـ اث النتائج العلاجية المنالة في تلك الحالة للتأثير المنبه الذي فى المـاء المقطر المذكور أليس هذا الماء المر محتويا على قاعدة يكون تأثيرها على المخ والنخاع وأعصاب المجموع العقدى هوسبب نجاح علاج تلك الآفات العصبية . والغالب استعمال هذا الماء فى الحميات الغير المنتظمة قبل استعمال الوسايط القوية التي فيها قوة على اذهاب التقلصات والتضايق والتوتر المؤلم فى الحجاب الحاجز فان هذه أعراض تضاعف الداء وتزيد في الاخطار وهذا الماء يدخل فى أغلب الجرعات المضادة للتشنج في كثير من المستحضرات لوقتية التى تقاوم بهـا الآفات العصبيـة ككثير من الـركبات الطبية المذخرة أيضا كالماء الالهي والملكي والاكسير المقوي للمعدة والمطبوخ الابيض وغير ذلك ويؤخذ ذلك الماء سواء من أزهار النارنج أوالبرتقان المذب أوالنارنج المر بل يفضل المستخرج من أزهار النارنج المر لان رائحتها أذكي. وقال أطباؤنا نام الزهر يقوى الدماغ ويطرد الرياح ويحلل الزكام الخفيف واذا احتمل أدر الطمث وشربه ينفع من لسعة العقرب ويعمل منـه دهن يقوم مقام دهن النارديـن في جميع خصاله وهذا ألطف منه واذا شرب نقيعه سهل الولادة مجرب . وقال انه يستقطر معه ماء طيب الرائحة ذكي مفرح واذا جعل الزهر في الشيرج ٣ أسابيع ناب ذلك الدهن عن دهن النارديـن وغيره . انتهي

(المقدار وكيفية الاستعمال للازهار)

تستعمل أهداب الزهر منقوعة أيضا بمقـدار من غرامين الى ٥ غرامات للتر من الماء فيكون هذا المشروب مقويا ومضاداً للتشنج في آن واحد وقد يكون

نافعا ايضا لمقاومة ضعف المعدة والآفات العصبية مع كون هذا المنقوع مقبولا في الشرب جدا . نعم المستعمل منه عموما ماؤه المقطر في الآفات العصبية والتشنجية وكيفية تحضيره ان يؤخذ من الازهار المجنية جديدا خمسة كيلوغرامات ومن الماء العام المقدار الكافي وتوضع الازهار بدون تراكم على حجاب حاجز مثقب وهيأ في الجزء العلوى من القرعة التي يصب فيها قبل ذلك المقدار اللازم من الماء ويتمم جهاز التقطير ويقطر بالبخار ويتقى السائل المتكاثف فى مرسب لاجل عزل الدهن الطيار منه ويداوم على التقطير حتي ينال من الماء المقطر ٢٠ كيلو غراما وهذا الماء هو ماء زهر النارنج المزدوج على حسب الدستور اذا استخرج ٥٠٠ غرام ماء من ٥٠٠ غراما من الزهر فاذا استخرج من الماء بقدر الزهر ٤ مرات حصل ماء زهر النارنج المربع واذا وضعت الازهار مع الماء البارد كما كان يفعل سابقا ثم غلي الكل كان الناتج متكدرا . اما اذا وضع الزهر بعد غلى الماء فان الناتج يكون صافيا ويوصل لذلك اذا قطرت الازهار بالبخار كما ذكرنا . ثم ان الحمض الخلى الذي يحتوى عليه ماء زهر النارنج يمر بالتقطير وسيما في آخر العملية ولاجل منع وجود هذا الحمض في الماء حيث يكون خطرا اذا مر هذا الماء في أواني من نحاس ذكر بوليه ان يخلط كل ٥٠٠ غرام من الزهر بثمان غرامات من المغنيسيا والمقدار للاستعمال من الماء المقطر من ٣٠ غراما الى ٥٠ غراما في جرعة ويحضر شراب زهر النارنج بجزء من الماء المقطر وجزء من السكر الشديد البياض والمقدار منه للاستعمال من ٣٠ الي ٥٠ غراما . واما عطر ازهار النارنج المسمي نيرولي فينفصل على سطح الماء اذا قطر زهر النارنج ويحتوى ذلك العطر كما قلنا على نوعين من الدهن الطيار أحدهما سائل والثانى صلب سماه بليصون باسم أوراد وينفصل اذا صب الكؤول الذى فى ٣٥ درجة من الكثافة فى الدهن الطيار الخام ويستعمل هذا الدهن المسمى نيرولى علي السكر بمقدار من ٢ الى ٦ نقط كدواء مضاد للتشنج ومنقوع زهر النارنج يصنع كمنقوع الاوراق بمقدار من ٥ غرامات الى ١٥ لاجل كيلو غرام من الماء والكؤولات أى الصبغة للازهار

أو الاوراق أو قشور الثمار يصنع بأخذ غرام منها و٤ غرامات من الكؤول الذى فى ٢٤ درجة من الكثافة والمقدار للاستعمال من غرامين الى ١٠ غرامات فى جرعة

(الفصل الثانى في الليمون وقشره)

الليمون وقد تحذف نونه سماه لينوس ستروس ميدكا وسماه ريصوستروس ليمونيوم وبعضهم يرى أن هذا اسم لنوع غير الاول وانه المسمي ليمونيير بالافرنجية وأما الاول فهو المسمي بالافرنجية سترونيير وقد يسمي بما معناه الليمون الاعتيادى ولكن الاكثر على أن مدلول الاسمين واحد . وهو ينبت طبيعة بالهند ثم حمل الي آسيا واوربا الجنوبية ووصل الى جبال البرينيا ويعلو اكثر من شجر النارنج وساقه معتدلة متفرعة تفرعا كثيرا وهي غالبا بنفسجية وتحمل شوكا سيما في الحالة الوحشية واوراقه بيضاوية مستطيلة منتهية بحرف دقيق مسننة لونها اخضر مصفر ومحمولة على ذنيبات مفصلية بدون تجنح في جوانبها والازهار عديدة متوسطة العظم وهيئة غالبا بهيئة عناقيد ملونة من الخارج بلون احمر بنفسجي وكاسها قصير يقرب لان يكون مسطحه ذا خمسة أسنان والاهداب ٥ عدية الحامل والذكور سائبة في الغالب غير ملتصقة بأعسابها علي هيئة حزم والثمار بيضاوية صفر زاهية وجلدها رقيق تختلف رقته باختلاف الاصناف وهو أملس وأحيانا يكون تحينا خشنا وتنتهي الثمار من الاعلى بحلمة مخروطية والقلب المحوي فيها مملوء بعصارة حمضية مقبولة ومن تلك الثمار ما يبلغ رأس الطفل التام الاشهر وحويصلات الدهن الطيار الذى في القشر مقعرة والمستعمل من النبات ثمره المسمى سترون وزوره وقشر ثمره المسمى زيست واصناف هذا النوع كثيرة واستنبت بالاكثر فى حوض البحر المتوسط ويندر وجودها في بساتين البرتقانيات بباريس والفضل في انتشارها لخلفاء العرب الذين امتدت سلطنتهم لعمق آسيا الجنوبية والى جبال البرينيا وتركوا في جميع الاماكن التى كانت تحت أيديهم آثارا مهمة من قوتهم ومعارفهم في الطب والزراعة فشجر الليمون من جملة ما انتشر في الجهات التى استولوا عليها فلذا يوجد في بلاد الشام وفلسطين أشجار منها

من اواخر القرن الحادي عشر العيسوي بل يظهر أنه في ذلك الزمن نفسه تضاعف بافريقة وبلاد الاندلس ويظهر أن المحاربين الذين تصدوا لقتال المسلمين في الحروب المشهورة هم الذين أدخلوا شجر الليمون ايطاليا وسيسليا وقشر الليمون له رائحة جميلة مخصوصة وهو أحد العطريات التي يرغب فيها بسبب مافيه من الدهن الطيار ويحضر من هذا القشر سوائل وعطريات ومربيات وغير ذلك ويصنع منه شراب ويدخل في المياه الترياقية والمياه المليسية المركبة والماء الملكي وغير ذلك وله يدخل في الاقراص المعدية والاقراص الليمونية والقشر المذكور مقو وطارد للرياح والدهن الطيار المستخرج منه سائل ليموني شفاف رائحته ذكية جدا واذا نيل على البارد ونقى كان عديم اللون وينفع للتعطير ويدخل في صناعة عمل الارواح وفي أعمال بيوت الادوية وفي بعض الترياقات وغير ذلك. ويستعمل ضد الدود والقرع والدهن المستخرج بالتقطير يكون أقل ذكاوة ويخدم لازالة الشحم من الخرق والثياب والدهن الليموني يتحد بالحمض المرياتي ويتكون من ذلك شبه ماح يصح ان يسمى مريات ليموني وزر الليمون حريف مريقال انه مضاد للديدان والسموم ونحوها وهو من الادوية المقوية والطاردة للرياح ويدخل في معجون الياقوت ومعجون سليمان والمغلى المر والمسحوق المضاد للديدان. ويحضر من قشور جذور الليمون في جودلوب خلاصة تستعمل كمسحوق في الحميات على رأى بعضهم وذكر أطباؤنا لليمون منافع جليلة وحصروا منافعه ايضا في القشر والحماض والبزر وقالوا أما القشر فيظهر من مرارته وحرافته اليسيرة وقبضه الخفي وعطريته الظاهرة أن طبيعته التسخين القريب من الاعتدال والتجفيف البين ولذا كان مزاجه حارا يابسا ولما فيه من المرارة والقبض والعطرية كان مقويا للمعدة خاصة ومنبها لشهوة الغذاء ومعينا على جودة الاستمراء ومطيبا للنكهة محركا مطيبا للجشاء مقويا للقلب مصلحا لكيفية الاخلاط الرديئة وفيه مع ذلك بادزهرية تقاوم بها مضار السموم المشروبة والمصبوبة وبخلص منها. هذا حكمه اذا أخذ على جهة الدواء فأما على جهة الغذاء فهو عسر الانهضام بطيء الانحدار قليل الغذاء

ويدل علي ذلك صلابة جرمه وعسر مضغه وبقاء طعمه ورائحته في الجشاء مدة طويلة وأما حامضه فحقه ان يذكر في المعدلات واما بزره ففيه باد زهرية يقاوم بها سم ذوات السموم كبزر الاترج الحامض الا أنه أضعف منه قليلا والشربة منه من مثقال الي درهمين مقشورا اما بشراب واما بماء حاروه مضغه يذهب ضرس حمض الليمون قالوا والليمون المملوح أدام حسن يطيب النكهة والجشاء ويقوي المعدة ويذهب بلتها ويعينها علي جودة الاستمراء وهضم الاغذية الغليظة ويزيل وخامتها ويقوي القلب والكبد ويفتح سدد الكلي ويدر البول وينفع من كثير من العلل الباردة كالفالج والاسترخاء ويقاوم سم ذوات السموم وقالوا ومن الليمون صنف مركب علي أترج يسمى بالليمون الصيني وهو الاستيوب المعروفة في مصر بالحامض الشعيري أو الليمون الشعيري ويسمي أحيانا بليمون أضاليا انتهي. وأما الدهن الطيار فهو واحد في جميع النباتات النارنجية التي منها الليمون واستخراجه من الليمون كاستخراجه من غيره فاذا قطر الزهر انفصل مقدار من الدهن يسبح على سطح الماء ويسمي نيرولى كما ذكرنا ورائحته عطرية ذكية تختلف عن رائحة الازهار قال سوبيران ويظهر أن النيرولى ناتج من تغيير الدهن الطيار الطبيعي فان هذا الطبيعي أكثر ذوبانا من النيرولى ويبقى محلولا في الماء ويمكن اثبات وجوده فيه بتحريك الماء المقطر مع الاتير الخالي من الكؤول فالاتير بتصاعده من نفسه يترك مقدارا يسيرا من دهن طيار رائحته مثل رائحة الازهار ويذوب بسهولة في الماء وقد ذكرنا أن النيرولى يحتوي علي دهن صلب قابل للتبلور سماه بليصون أوراد وفصله بالكؤول كما سبق وقد علمت أن قشر الثمر تنبذر في جزئه الخارج حرصلات او خلايا مملوءة بدهن طيار منه بخلاف جزئه الابيض فانه يحتوى علي مادة مرة تكون على شكل خلاصة مرة لا تذوب في الاتير وتذوب في الكؤول وكشف في قشر الليمون ايضا جوهر قابل للتبلور سماه سابقا اسبيردين ويظهر كما قال سوبيران انه ينسب للراتينجيات القابلة للتبلور وهو لا يذوب في الكؤول البارد أو يذوب فيه قليلا وليس للاطباء في هذا الجوهر اهتمام طبي وينبغي أن

تعلم أولا أن بزور النارنجيات لا تحتوى على دهن وانما تحتوي على مادة مرة قابلة للتبلور سماها برنيه باسم ليمونين وهى غير قابلة للذوبان في الماء ولا في الاثير وتذوب جيدا في الكؤول وفي الحوامض الممدودة وثانيا أن الادهان الطيارة المستخرجة من الليمون او غيره من النارنجيات تستخرج كما ذكر ناسابقا بالعصر أو بالتقطير فقشور الليمون او النارنج او البرتقان او الاترج او البرجموت او الليميت او الاستيوب تجهز مقدارا من الدهن يكون على حسب مافي هذا الجدول

		بالعصر	بالتقطير
برجموت ١٠ بالعدد فيها من اللب ٣ كيلو غرامات و٥٥٠ غراما		٨٠	٠٠
أترج مثله	٣	٠٠٠	٥٠	٢٠
ليمون مثله	٣	٥٠٠	٦٠	٤٤
استيوب مثله	٣	٥٠٠	٣٠	٣٤
برتقان مثله	٣	٦٠٠	٨٠	٨٨

والدهن الطيار لليمون مركب من ١٠ من كربون و٨ من أدروجين فيكون تركيبه مثل تركيب الدهن الطيار للترنتينا ولكن سعته للشبع مزدوجة ويحصل منه مع الحمض كلورادريك كافوران أحدهما صلب والآخر سائل ودهن الليمون سوى رائحته يتميز أيضا عن دهن الترنتينا بكونه فيه قوة الدوران الى اليمين لا الى اليسار ومثل ذلك الدهن الطيار للاترج والاستيوت والبرجموت فان تركيب هذه الادهان واحد ودورانها لجهة واحدة . قال سوبيران ومع ذلك يظهر أن دهن البرجموت يحتوى على دهن أوكسيجيني ليس هو الا الادرات الذي شاهدته مع الكياوى المسمي قبطان ويوجد ايضا مقدار يسير جدا من دهن أوكسيجيني في الادهان الاخر للنباتات النارنجية والمستحضر المسمى بالدهن السكرى يصنع بنقطة من الدهن الطيار و٤ غرامات من السكر يمزجان بالتهوين وتلك المستحضرات هى المستعملة في العادة كمعطر من الاعطار وهى ذكية الرائحة اذا نيلت بحك السكر على القشر الرطب للثمر ثم تهوين ذلك لاجل انالة

مسحوق متحمل أيضا للدهن في جميع أجزائه فيؤخذ لذلك ليمونة او نارنجة او برتقانة واحدة و٨ غرامات من السكر وتحضر كؤولات الليمونات بأخذ غرام من قشر ثمر الليمونيات و٦ من الكؤول وبعد ٣ أيام أو ٤ من النقع يقطر الي الجفاف علي حمام مارية ويحضر بمثل ذلك كؤولات البرتقانيات والنارنجيات والاترج والبرجموت . وذكر سوبيران هنا ماء قلونيا وجهزه بأخذ ١٦ غراما من كل من الدهن الطيار لكل من الليمون والبرجموت والاستيوب والنارنج والحبوب الصغيرة للنارنج و٨ من كل من الدهن الطيار للاترج واكليل الجبل والخزامي وأزهار النارنج والبرتقان و٤ من الدهن الطيار للقرفة و١٥٠ من الكؤول الذى كثافته في مقياس كرتيير ٣٤ فتحل الادهان في الكؤول وبعد بضعة أيام يقطر علي حمام مارية حتي يقرب من الجفاف ويضاف على النارنج ٢٠٠ غرام من كؤولات المليسيا المركب و٣٠ من كؤولات الرومران أي اكليل الجبل. انتهي وقال بوشرده في تحضير ماء قلونيا يؤخذ من الدهن الطيار لكل من البرجموت والليمون والاترج ٩٦ غراما ولكل من اكليل الجبل وزهر النارنج والخزامي ٤٨ غراما ومن دهن القرفة ٢٤ ومن الكؤول الذى في ٣٤ من مقياس كرتيير ١٢٠٠ ومن كؤول المليسا المركب ١٥٠٠ غرام ومن كؤولات اكليل الجبل ١٠٠٠ غرام تذاب الادهان في الكؤول ويضاف لها النوعان من الكؤولات وتترك ملامسة لبعضها مدة ٨ أيام ثم تقطر على حمام مارية الى أن لا يبقى فى القرعة الا خمس المخلوط فى السائل فالمقطر هو ماء القلونيا. كذا في الدستور . وهذا الماء أكثر ما يستعمل للزينة والتعطير ويقل استعماله لادواى فيصح استعماله مروخات خفيفة منبهة وصبغة قشور الليمون تحضر كتحضير صبغات غيرها من النارنجيات فيؤخذ غرام من القشور و٥ غرامات من الكؤول الذى في ٢١ من مقياس كرتيير فينقع ذلك مدة ١٥ يوما ثم يصفي مع العصر ويرشح وهذه الصبغة دوائية وتحتوى في آن واحد على الجزء العطري والجزء المر الذى في القشر فاذا استخدمت للتعطير حضرت بأن يوضع في قنينة مع الكؤول النقي الجزء الاصفر الخارج الطرى

الذي اخذ على هيئة خيوط رقيقة بواسطة سكين ويوجد في تلك الصبغة جميع ذكاوة الثمر الرطب وهي أهل لتعطير الاطعمة والتحاضير الدوائية ويحضر بتلك الكيفية شراب القشر من النارنجيات المرة فيؤخذ غرام من القشر و٧ من الماء المغلي ومقدار كاف من السكر الابيض أي يقرب الى ١٠ غرامات فيصب الماء المغلى على القشور وبعد نقعه ١٢ ساعة أو ٢٤ يرشح السائل ويذوب فى اناء مسدود ١٨٠ غراما من السكر لكل ١٠٠ غرام من السائل فعشرة غرامات من الشراب تعادل نصف غرام من قشر النارنج المر أو غيره وشراب القشر الرطب لليمونيات كشراب قشر البرتقان أو النارنج العذب يحضر بجزء من القشر الرطب الرقيق للنارنج أو غيره و٥ غرامات من الماء المغلى فيعمل شراب بذوبان بسيط لمائة جزء من المنقوع و١٨٠ من السكر

نارنشك قال داود الانطاكي فارسي معناه رمان برى قيل هو الجلنار أو بريه أو أقماع الهندى منه أو هو رمان صغار لا يفتح عن بزر بل عن شيء احمر يوجد بخراسان وهذا هو الصحيح وهو حلو يابس فى الثانية أو هو بارد فى الاولى أجل منافعه قطع البخار عن الرأس وازالته الوسواس والماليخوليا ويحبس النزف والاسهال ويشد الاعضاء ويهضم بالعصر ويزيل اللزوجات شربا والعرق وسيلان القروح طلاء وزرورا وهو يضر المثانة ويصفر اللون ويصلحه دهن اللوز والمرارة خصوصا ان كان حره فى الثالثة كما قيل وتصلحه الهندبا وشربته درهما وبدله نصفه قشر فستق وربعه زنجبيل وسدسه سنبل أو بدله مثله كمون

نار كيها هو فلفل الماء لا الخشخاش الاسود وهو فوق ثلاثة أذرع ورقه كورق الزيتون أسود شديد الملاسة له حب كالبندق الى السواد قوي اللذع والحرافة حار يابس فى الثانية يحلل الرياح شربا ويزيل الاورام والآثار طلاء (ومن خواصه) ان الكرسنة والبسلة وما قاربهما اذا سلق في مائه وجفف وغش به الفلفل لم يعرف واذا مسح به الوجه عند القيام من النوم نفخه وحمر لونه جدا وبه تدلس المواشط

نار فيصر نبت دقيق احمر الى

صفرة خفيفة يجلب من الروم ويسمى بمصر ساق الحمام وهو عطري طيب الرائحة حار يابس في الثانية يحلل الرياح والمغص ويفتح السدد ويقال انه يفرح ويدر البول والدم شربا ويحلل الصلابات وضربان المفاصل طلاء وشربته الى مثقال

ناصور — النواصير هي قنوات ضيقة مستطيلة غالبا يخرج منها صديد واذا كانت مستطرقة الى قنوات طبيعية فيخرج منها متحصلا افراز أو مواد تمر في تلك القنوات

وتحصل النواصير من عدم التصاق جدران الجرح الخارجة بعضها ببعض لان جلد الخارجة يكون على الغالب رقيقا ومنفصلا عما تحته فلا توجد فيه العروق الدموية الكافية لافراز الليمفا المكونة التي يتم بها الالتصاق فتخلف عنها النواصير. وقد علمنا ان تباعد الحرافي يمنع الالتحام وقلنا بوجوب تقريبها ووضع العضو الوضع اللائق لذلك فاذا لم يراع هذا الشرط تولد الناصور ومن الاسباب أيضا استمرار مرور القيح في مجرى طويل يمتنع به الالتحام ويشاهد ذلك بنوع خاص عند وجود جسم غريب أو عظم متسوس

العلاج — يختلف باختلاف نوع الناصور فالنواصير الجلدية تعالج بالضغط بلا زوق وبالحقن المنبهة والقابضة فان لم ينجع ذلك يستدعي الطبيب شق الجلد المنفصل وكشف قعر الجرح ومعالجته اذ ذاك كجرح بسيط

أما النواصير المستطرقة الى التجاويف الطبيعية أو المسببة عن نخر وتسوس في العظام فعلاجها منوط بالطبيب دون سواه

ابن ناقيا — هو أبو القاسم عبد الله وقيل عبد الباقي بن محمد بن الحسين ابن داود بن ناقيا الاديب الشاعر اللغوي المترسل

قال ابن خلكان هو من أهل الحريم الظاهري وهي محلة ببغداد وكان فاضلا بارعا وله مصنفات حسنة مفيدة منها مجموع سماه ملح الملاحة ومنها كتاب الجمان في تشبيهات القرآن وله مقامات أدبية مشهورة واختصر الاغاني في مجلد واحد وشرح كتاب الفصيح وله ديوان شعر كبير وديوان رسائل وذكره العماد الاصبهاني في كتاب الخريدة وأثنى عليه وذكر طرفا من أحواله وأورد له هذين

البيتين في بعض الرؤساء واقتصد فكتبهما اليه

جعل الله ذو المواهب عقبا
لك من الفصد صحة وسلامة
قل لميناك كيف شئت استهلي
لا عدمت الندى فأنت غمامة

ولقد أجاد فيهما ومن شعره ايضا :

اخلاي ما صاحبت في العيش لذة
ولا زال عن قلبي حنين التذكر
ولا طاب لي طعم الرقاد ولا اجتنت
لحاظي مذ فارقتكم حسن منظر
ولا عبثت كفي بكاس مدامة
يطوف بها ساق ولا جس مزهر

وكان ينسب الى التعطيل ومذهب الاوائل وصنف في ذلك مقالة وكان كثير المجون . وحكي الذي تولى غسله بعد موته انه وجد يده اليسرى مضمومة فاجتهد حتى فتحها فوجد فيها كتابة بعضها على بعض فتمهل حتى قرأها فاذا فيها مكتوب :

نزلت بجار لا يخيب ضيفه
أرجي نجاتي من عذاب جهنم
واني على خوف من الله واثق
بأنعامه فالله أكرم منعم

ومولده في منتصف ذي القعدة سنة عشر واربعمائة . وتوفي ليلة الاحد رابع المحرم سنة خمس وثمانين واربعمائة ودفن بباب الشام ببغداد رحمه الله تعالى

وناقيا بفتح النون وبعد الالف قاف مكسورة ثم ياء مثناة من تحتها مفتوحة وبعدها الف وقد تقدمت له أبيات مرثية في ترجمة الشيخ ابي اسحق الشيرازي

نانخواه هذا الاسم معرب عن نانخواه الفارسي ومعناه طالب الخبز كأنه يشهى الطعام اذا ألقى على الارغفة قبل خبزها او في عجينة الخبز واهل مصر تسميه نخوة هندية وأهل الاندلس يسمونه نانخة وهو أيضا الكون الملوكي ويسمى بالافرنجية أمي بفتح الهمزة وتشديد الميم المكسورة وقد جعل الآن عند النباتيين اسما لجنس من الفصيلة الخيمية خماسي الذكور أحادي الاناث ولهذا الجنس مشابهة كبيرة واضحة ولجنس دوقوس حيث لا يختلف عنه الا بثماره الغير المرصعة بنقط شوكية اذ يوجد له كأس كامل وتويج ذو ٥ أهداب متساوية قلبية الشكل و٥ ذكور ومهبلان متباعدان عن بعضهما

محيط ورقه عام ثنائي التشقق ومحيطات وريقية زهرية خاصة مركبة من وريقات ريشية أو بسيطة وثماره صغيرة بيضاوية وفيها على كل وجه ٥ أضلاع بارزة ويدخل في هذا الجنس ٥ أنواع أو ٦ تقرب في الشكل من نباتات الجزر وأكثرها استعمالا هو المقصود لنا هنا المسمي عند لينوس باللسان النباتي امي ماجوس

(صفاته النباتية) الساق تعلو من قدم الى قدمين محززة تقرب لان تكون زووية وهي عديمة الزغب والاوراق السفلي ثنائية التريش ووريقاتها بيضاوية سهمية بسيطة أو فضية في القاعدة مسننة تسنينا منشاريا عديمة الزغب والعليا وريقاتها ضيقة مستطيلة والمحيط الوريقي الزهري العام وريقاته ثلاثية التشقق وأضيق ومستطيلة والمحيط الوريقي الخاص وريقاته نحو ١٢ وتقرب لان تكون دقيقة خشنة والاهداب ذوات فصين منحرفين والازهار بيض وتزهر في يوليه ويوجد هذا النبات في المحال المزروعة بأماكن كثيرة من اوربا وبلاد العجم والمستعمل من النبات بزوره

(صفاتها الطبيعية) هذه البزور صغيرة مخضرة محززة مستطيلة عديمة الزغب منتهية بطرفين دقيقين ورائحتها ضعيفة. وقال أطباء العرب هي حب معروف اصغر من الكمون ويشبه حب الخردل قوى الرائحة والحدة والحرافة يجلب من الهند وبلاد فارس ويغش في مصر ببزر الخلال أي الوخشيزك والفرق ضعف المرار وأجوده الصغار الزرين المائل الى حمرة وبياض . انتهى . لكن تقول شبهه لحب الخردل بعيد جدا واما شبهه للوخشيزك فقريب وأما النبات المسمى أمي ويروم أي الحقيقي المسمي عند الصيدلانيين لانين أمي ولجارس أي العام الذي فضل عليه النبات المسمي أمي كندية المنسوب لجزيرة كندية وهو عند بعضهم أمي ويتيروم فهو عند لينوس سيزون امي اى فجنسه عند لينوس غير جنس النوع السابق وان كان الجنسان من فصيلة واحدة وينبت في جنوب فرنسا وفي جزائر الروم فبزوره المحمولة على خيم جانبية تكون صغيرة كرية مضلعة سنجابية مخضرة عطرية خالية من الزغب ويندر الآن وجود هذا البزر في المتجر الاوربي واذا وجدت كان الغالب كونها من أمي

ماجوس وقد يوجد النوعان معا مختلطين ومسميين باسم امى اى نانخواه وتلك البزور كلها فيها مرار قليل

(الاستعمال) اشتهرت تقوية هذه البزور المعدة وطردها للريح وأمريها مشيول وغيره علاجا لعقم النساء وأكد بعضهم فاعليتها في ذلك وفي علاج الازهار البيض وتدخل النانخواه في الترياق ولاطباء العرب كلام كثير في النانخواه فنقلوا عن جالينوس انه قال انا يستعمل من النبات بزوره وقوته مجففة مسخنة لطيفة وفي طعمه مرار يسير وحرافة واذا كان كذلك كان مدرا للبول محللا ولذا يوضع من الاسخان والتجفيف في الدرجة الثالثة. وعن ديسقوريدس يصلح اذا شرب بالشراب للغص وعسر البول ونهش الهوام وقد يدر الطمث ويخلط بالادوية المدرة التي يقع في اخلاطها الرازيانج ليضاد عسر البول واذا خلط بالعسل وتضمد به قلع الكنة من العين وما جمد في العين من نحو مدة واذا شرب أو تاطخ به أحال لون البدن الي الصفرة واذا تدخن به مع الزفت والرزايانج نقى الرحم. وقال أبو جريج طبيخه يحل النفخ البتة وحبه يذهب البلة والحيات العتيقة وطبيخه يصب علي لسع العقرب فيسكن وجعه . وقال الفارسي انه يقطع القيح الذي في الصدر والمعدة ويسكن الرياح ويهضم الطعام وهو جيد لوجع الفؤاد والغثيان وتقلب النفس ويذهب بالحالة التي لا يجد الانسان فيها طعم الطعام في فيه طيبا أو طعم الماء كذلك . وقال فولس انه يسخن المعدة والكبد أي الباردتين ويضر الحارتين الا اذا قلل منه منقوعا في الخل أو أخذ عليه سكنجبين ساذج . وقال ابن ماسويه انه ينقى الكلي والمثانة . وقال الطبري انه يذيب الحصاة وقد يخرج الدود ودودة القرع وقال اذا أكل بالعسل فعل ذلك أيضا . ويقال اذا سحقت تلك البزور وعجنت بعسل وطلي به الوجع في أي موضع كان من البدن حللت ورمه وأزالت وجعه واذا أضيف اليها الطفل أي طين قيمولي كانت في ذلك ابلغ واذا حقن بها الرحم نقتها وجففت رطوبتها العفنة وحسنت رائحتها واذا جعلت مع الادوية المسهلة نفعت من يعتريهم منها غص . وقال اسحق ابن سليمان اذا خلطت بالادوية النافعة

من البرص والبهق قوت فعلها وزادت في تأثيرها. وقالوا ان ماءها المقطر يحل عسر النفس في الوقت وينفع من الفالج والرعشة وفيه مع قاطر الدارصيني ولسان الثور تفريح يعدل الخمر واذا غلي ٣ مثاقيل منها في رطل حليب وأوقية من السكر حتي يعود الى النصف وشرب فوق اللحم ممن بافراط وقالوا ان بدلها في غير التسمين مثلاها شونيز. انتهي من أنواع جنس اعمى ما يذكر علي الاثر (المادة الطبية)

الناوسية أتباع رجل يقال له ناوس وقيل نسبوا الى قرية ناوسا قالت ان الامام الصادق حي بعد ولن يموت حتي يظهر فيظهر أمره وهو القائم المهدي ورووا عنه أنه قال لو رأيتم رأسي يدهده عليكم من الجبل فلا تصدقوا فاني صاحبكم صاحب السيف. وحكي أبو حامد الزوزني أن الناوسية زعمت ان عليا مات وستنشق الارض عنه يوم القيامة فيملأ العالم عدلا وأما الافطحية فقد قالوا بانتقال الامامة من الصادق الي ابنه عبدالله الافطح وهو أخو اسماعيل من أبيه وأمه وأمهما فاطمة بنت الحسين بن الحسن بن علي وكان أسن أولاد الصادق زعموا انه قال الامامة في اكبر أولاد الامام وقال الامام من يجلس مجلسي وهو الذي جلس مجلسه والامام لا يغسله ولا يصلي عليه ولا يأخذ خاتمه ولا يواريه الا الامام وهو الذي تولى ذلك كله ودفع الصادق وديعة الى بعض أصحابه وأمره أن يدفعها الى من يطلبها منه وأن يتخذه اماما وما طلبها منه أحد الا عبد الله ومع ذلك ما عاش بعد أبيه الا سبعين يوما ومات ولم يعقب ولداً ذكراً ومن الامامية الشمطية أتباع يحيي بن أبي شميط قالوا أن جعفرا قال ان صاحبكم اسمه اسم نبيكم وقد قال له والده ان يولد لك ولد فسميته باسمي فهو امام فالامام بعده ابنه محمد

ناناً عجز و (ناناً في الرأي) ضعف

ناى عنه ينأى نأيا بعد . و (أناه) بعده

نبا عنه سمعه ينبو أي تجافى و (نبّأه الخبرَ) أخبره به ومثله (أنبأه) و (تنبّأ) ادعي النبوة وتكلم بالنبوة . و (النَبَأ) الخبر . و (النُبُوءة) اسم من النبي وهي الاخبار عن الله. و (النبي) المخبر عن الله بوحي

﴿النبوة والانبياء﴾ الكلام في النبوة والانبياء من أهم أركان الفلسفة الدينية والكلام فيها يطول لما يقتضيه من ايراد آراء علمائنا المتقدمين وشبهات الماديين المعاصرين والخوض في اقوالهم واستخلاص نتيجة حاسمة من مجموع نظرياتهم لذلك علينا ان نبدأ هذا البحث بايراد أقوال علمائنا الاقدمين ثم نردفه بشبهات الماديين المعاصرين ثم ندلي برأينا في هذا الباب والله الموفق للصواب

قال العلامة ابن حزم في كتاب (الفصل) :

« ذهبت البراهمة وهي قبيلة بالهند فيهم أشراف أهل الهند ويقولون انهم من ولد برهمي ملك من ملوكهم قديم ولهم علامة ينفردون بها وهي خيوط ملونة بحمرة وصفرة يتقلدونها تقلد السيوف وهم يقولون بالتوحيد على نحو قولنا الا انهم انكروا النبوات. وعمدة احتجاجهم في دفعها ان قالوا لما صح ان الله عز وجل حكيم وكان من بعث رسولا الى من يدري انه لا يصدقه فلا شك في أنه متعنت عابث فوجب نفي بعث الرسل عن الله عز وجل لنفي العبث والعنت عنه وقالوا أيضا ان الله تعالى انما بعث الرسل الى الناس ليخرجهم بهم من الضلال الى الايمان فقد كان أولى به في حكمته وأتم لمراده أن يضطر العقول الى الايمان به . قالوا فبطل ارسال الرسل على هذا الوجه أيضا ومجيء الرسل عندهم من باب الممتنع وأما نحن فنقول ان مجيء الرسل قبل أن يبعثهم الله تعالى واقع في باب الامكان واما بعد ان بعثهم الله عز وجل ففي حد الوجوب. ثم اخبر الصادق عليه السلام عنه تعالى انه لا نبي بعده فقد جد الامتناع ولسنا نحتاج الى تكلف ذكر قول من قال من المسلمين ان مجيء الرسل من باب الواجب واعتلالهم في ذلك بوجوب الانذار في الحكمة اذ ليس هذا القول صحيحا وانما قلنا الذي بيناه في غير موضع أنه تعالى لا يفعل شيأ لعلة وانه تعالى يفعل ما يشاء وان كل ما فعله فهو عدل وحكمة اي شي كان . فيقال وبالله التوفيق لمن احتج بالحجة الاولى من أن الحكمة تضاد بعثة الرسل وان الحكيم لا يبعث الرسل الى من يدري أنه يعصيه انكم اضطركم هذا الاصل الفاسد الحاكم

بذلك الي موافقة المنانية على اصولها فى ان الحكيم لايخلق من يعصيه ولا من يكفر به ويقتل اولياءه وهم يقولون ان الله تعالى خلق الخلق ليدلهم بهم علي نفسه ويقال لهم قد علمنا وعلمتم ان في الناس كثيرا يجحدون الربوبية والوحدانية فقالوا انه ليس حكيما من خلق دلائل لمن يدرى انه لايستدل بها . فان قالوا انه قد استدل بها كثير. قيل لهم وقد صدق الرسل ايضا كثير. فان قالوا انه خلق الخلق كما شاء . قيل لهم وكذلك بعث الرسل ايضا كما شاء . فبعثته تعالى الرسائل هي بعض دلائله التي خلقها تعالى ليدل بها على المعرفة به تعالي وعلى توحيده . ويقال انه احتج بالحجة الثانية من ان الاولي به انه كان يضطر العقول الى الايمان به ان هذا قول مرذول مردود عليكم فى قولكم ان الله عز وجل خلق الخلق ليدلهم بهم على نفسه ووحدانيته فيلزمكم على ذلك الاصل الفاسد انه كان الاولى اذ خلقهم ان لايدعهم والاستدلال وقد علم ان فيهم من لا يستدل وان فيهم من يغمض عليه الاستدلال فكان الاولى في الحكمة ان يضطر عقولهم الى الايمان به ولايكلفهم مؤنة الاستدلال وان يلطف بهم الطاف يختار جميعهم معها الايمان كما فعل بالملائكة

(قال ابو محمد) يعني نفسه. وملاك هذا كله ماقد قلناه في غير موضع من أن الخلق لما كانوا لايقع منهم فعل الا لعلة ووجب بالبراهين الضرورية ان البارىء تعالى بخلاف جميع خلقه من جميع الجهات وجب ان يكون فعله لالعلة بخلاف افعال جميع الخلق وانه لايقال في شيء من افعاله تعالى انه فعل كذا لعلة ولا اذا جاء الانسان بالنطق وحرمه سائر الحيوان وخلق بعض الحيوان صائدا وبعضه مصيدا وباين بين جميع مفعولاته كما شاء. فليس لاحد ان يقول لم خلق الانسان ناطقا وحرم الحمار النطق وجعل الحجر جامدا لاحياة له ولا نطق. وهذا أصل قد اوقفتنا البراهمة عليه وسائر من خالفنا من تفريع هذا المعنى ممن يقول بالتوحيد وهكذا اذا بعث تعالى الانبياء ليس لاحد ان يقول لم بعثهم او لم بعث هذا الرجل ولم يبعث هذا الآخر ولا لم بعثهم في هذا الزمان دون غيره من الازمان ولا لم بعثهم في هذا المكان

دون غيره من الامكنة كما لا يقال لم حباه بالسعد في الدنيا دون غيره وهكذا كل مافي العالم اذ نظر فيه تعالي الذى لا يسأل عما يفعل وهم يسألون

(قال ابو محمد) واذ قد نقضنا شغبهم بحول الله تعالي وتأييده فلنقل الآن بعون الله تعالي وتأييده في اثبات النبوة اذا وجدت قولا بينا وبالله تعالى التوفيق: قد قدمنا فيما خلا اثبات حدوث الاشياء وان لها محدثا لم يزل واحدا لامبدأ له ولا كان معه غيره ولا مدبر سواه ولا خالق غيره فاذ قد ثبت هذا كله وصح انه تعالى اخرج العالم كله الى الوجود بعد ان لم يكن بلا كلفة ولا معاناة ولا طبيعة ولا استعانة ولا مثال سلف ولا علة موجبة ولا حكم سابق قبل الخلق يكون ذلك الحكم لغيره تعالى فقد ثبت انه لم يفعل اذ لم يشأ وفعل اذا شاء كما شاء فيزيد ماشاء وينقص ماشاء فكل منطوق به مما يتشكك في النفس اولا يتشكك فهو داخل له تعالي فى باب الامكان علي ما بينا في غير هذا المكان الا اننا نذكر ههنا طرفا ان شاء الله عز وجل فنقول وبالله تعالى نتأيد

ان الممكن ليس واقعا في العالم وقوعا واحدا ألا ترى ان نبات اللحية للرجال ما بين الثمان عشرة الى عشرين سنة ممكن وهو في حدود الاثنتى عشرة سنة الى العامين ممتنع . وان فك الاشكالات العويصة واستخراج المعانى الغامضة وقول الشعر البديع وصناعة البلاغة الرائقة ممكن لذى الذهن اللطيف والذكاء النافذ وغير ممكن من ذوى البلادة الشديدة والغباوة المفرطة . فعلى هذا ما كان ممتنعا بيننا اذ ليس في بنيتنا ولا فى طبيعتنا ولا من عادتنا فهو غير ممتنع علي الذى لا بنية له ولا طبيعة له ولا عادة عنده ولا رتبة لازمة لفعله فاذ قد صح هذا فقد صح انه لانهاية لما يقوى عليه تعالى فصح ان النبوة فى الامكان وهى بعثة قوم قد خصهم الله تعالى بالفضيلة لا لعلة الا انه شاء ذلك فعلمهم الله تعالى العلم بدون تعلم ولا تعقل في مراتبه ولا طلب له ومن هذا الباب ما يراه احدنا فى الرؤيا فيخرج صحيحا وما هو من باب تقدم المعرفة فاذا قد أثبتنا ان النبوة قبل مجيء الانبياء عليهم السلام واقعة في حد الامكان فلنقل الآن بحول الله تعالى وقوته علي

وجوبها اذا وقعت ولا بد فنقول اذ قد صح ان الله تعالى ابتدأ العالم ولم يكن موجوداً حتى خلقه الله تعالى فيقين ندرى ان العلوم والصناعات لا يمكن البتة ان يهتدي أحد اليها بطبعه فيما بيننا دون تعليم كالطب ومعرفة الطبائع والامراض وسببها على كثرة اختلافها ووجود العلاج لها بالعقاقير التي لا سبيل الى تجريبها كلها أبداً وكيف يجرب كل عقار في كل علة وحتى يتهيأ هذا ولا سبيل له الا في عشرة آلاف من سنين ومشاهدة كل مريض في العالم وهذا يقطع دونه قواطع تلوث الشغل بما لا بد منه من أمر المعاش وذهاب الدول وسائر العوائق وكعلم النجوم ومعرفة دوائرها وقطعها وعودها الى افلاكها مما لا يتم الا في عشرة آلاف من السنين ولا بد من أن يقطع دون ضبط ذلك العوائق التي فيها وكاللغة التي لا يصح تربية ولا عيش ولا تصرف الا بها ولا سبيل الى الاتفاق عليها الا بلغة أخرى ولا بد فصح انه لا بد من مبدأ للغة ما. وكالحرث والحصاد والدراس والطحن وآلاته والعجن والطبخ والحلب وحراسة المواشي واتخاذ الانسان منها والغرس واستخراج الادهان ودق الكتان والقنب والقطن وغزله وحياكته وقطعه وخياطته ولبسه وآلات كل ذلك وآلات الحرث والارحاء والسفن وتدبيرها في القطع بها للبحار والدواليب وحفر الآبار وتربية النحل ودود الخز واستخراج المعادن وعمل الابنية منها ومن الخشب والفخار وكل هذا لا سبيل الى الاهتداء اليه دون تعليم فوجب بالضرورة ولا بد انه لا بد من انسان واحد فأكثر علمهم الله تعالى ابتداء كل هذا دون معلم لكن بوحي حققه عنده. هذه صفة النبوة فاذا لا بد من نبي أو أنبياء ضرورة فقد صح وجود النبوة والنبي في العالم بلا شك

ومن البرهان على ما ذكرنا اننا نجد كل من لم يشاهد هذه الامور لا سبيل له الى اختراعها البتة كالذي يولد وهو أصم فانه لا يمكن له البتة الاهتداء الى الكلام ولا الى مخارج الحروف وكالبلادات التي ليست فيها بعض الصناعات وهذه العلوم المذكورة كبلاد السودان والصقالبة وأكثر الامم وسكان البوادي . نعم والحواضر لا يمكن البتة منذ أول العالم الى وقتنا هذا ولا الى انقضائه اهتداء

أحد منهم الى علم يعرفه ولا الى صناعة لم يعرف بها فلا سبيل الي تهديهم اليها البتة حتى يعلموها ولو كان ممكنا في الطبيعة التهدي اليها دون تعليم لوجد من ذلك فى العالم على سعته وعلى مرور الازمان من يهتدى اليها ولو واحداً وهذا أمر يقطع على أنه لايوجد ولم يوجد وهكذا القول في العلوم ولا فرق ولسنا نعني بهذا ابتداء جمعها فى الكتب لان هذا أمر لامؤنة فيه انما هو كتاب ما سمعه الكاتب وأحصاه فقط كالكتب المؤلفة في المنطق وفي الطب وفي الهندسة وفي النجوم وفي الهيئة والنحو واللغة والشعر والعروض انما نعني ابتداء مؤنة اللغة والكلام بها وابتداء معرفة الهيئة وتعلمها فابتداء أشخاص الامراض وأنواعها وقوى العقاقير والمعالجة بها وابتداء معرفة الصناعات فصح بذلك انه لابد من وحي من الله تعالى فى ذلك

(قال ابو محمد رضى الله عنه) وهذا أيضا برهان ضرورى على حدوث العالم وان له محدثا مختارا ولا بد (اذ لا بقاء) للعالم البتة الا بنشأة ومعاش ولا نشأة ولا معاش الا بهذه الاعمال والصناعات والآلات ولا يمكن وجود شيء من هذه كلها الا بتعليم البارى تعالى فصح ان العالم لم يكن موجودا اذ لاسبيل الي بقائه الا بما ذكرنا ثم وجد معلما مدبرا مبتدئا بتعليمه علي ماذكرنا وبالله تعالى التوفيق

(قال أبو محمد رضي الله عنه) واذقد تكلمنا على أنه لابد من نبوة وصح ذلك ضرورة فلنتكلم علي براهينها التي يصح بها علم صدق مدعيها اذا وقعت فنقول انه قد صح أن البارى تعالى هو فاعل كل شيء ظهر وانه قادر على اظهار كل متوهم لم يظهر وعلمنا بكل ما قدمنا انه تعالي مرتب هذه الرتب التي فى العالم ومجريها علي طبائعها المعلومة منا الموجودة عندنا وانه لافاعل على الحقيقة غيره تعالى (ثم) رأينا خلافا لهذه الرتب والطبائع قد ظهرت ووجدنا طبائع قد أحيلت وأشياء في حد الممتنع قد وجبت ووجدت كصخرة انفلقت عن ناقة، وعصى انقلبت حية، وميت أحياه انسان، ومئين من الناس رووا وتوضأوا كلهم من ماء يسير في قدح صغير يضيق عن بسطها اليد فيه لامادة له (فعلموا) أن محل هذه الطبائع وفاعل

هذه المعجزات هو الاول الذى أحدث كل شيء ووجدنا هذه القوى قد أصحبها الله تعالى رجالا يدعون اليه ويذكرون أنه تعالى أرسلهم الى الناس ويستشهدون به تعالى فيشهد لهم بهذه المعجزات المحدثة منه تعالى في عين رغبة هؤلاء القوم اليه فيها وضراعتهم اليه فى تصديقهم بها فعلمنا علما ضروريا لا مجال للشك فيه أنهم مبعوثون من قبله عز وجل وأنهم صادقون فيما أخبروا به عنه تعالى اذ لا سبيل في طبيعة مخلوق في العالم الى التحكم على الباري، ولا على طبائع خلقه بمثل هذا ووجوب النبوة اذ ظهر على مدعيها معجزة من احالة الطبائع المخالفة لما بنى عليه العالم وقد تكلمنا فى غير هذا المكان على أن هذه الاشياء لها طرق توصل الى صحة اليقين بها عند من لم يشاهدها كصحتها عند من شاهدها ولا فرق وهي نقل الكافة التي قد استشعرت العقول ببدايتها والنفوس بأول معارفها انه لا سبيل الى جواز الكذب ولا الوهم عليها وأن ذلك ممتنع فيها فمن تجاهل وأجاز ذلك عليها خرج عن كل معقول ولزمه ان لا يصدق ان من غاب عن بصره من الانس بأنهم أحياء ناطقون كمن شاهد وأن صورهم على حسب الصورة التى عاين ولزم ان يكون عنده ممكنا فى بعض من غاب عن بصره من الناس أن يكونوا بخلاف ما عهد من الصورة اذ لا يعرف احد ان كل من غاب عن حسه فانه في مثل كيفية ما شاهد من نوعه الا بنقل الكواف ذلك كما نقلت أن بعضهم بخلاف ذلك في بعض الكيفيات فوجب تصديق ذلك ضرورة كبلاد السودان وما أشبه ذلك. ويلزم من يصدق خبر الكافة ويجيز فيه الكذب والوهم أن لا يصدق ضرورة بأن أحدا كان قبله في الدنيا ولا ان في الدنيا احدا الا من شاهد بحسه. فان جوز هذا عرف بقلبه انه كاذب وخرج عن حدود من يتكلم معه لان هذا الشيء لا يعرف البتة الا من طريق الخبر لا غير فان تفرعن هذا وأقر بأنه قد كان قبله ملوك وعلماء ووقائع وأمم وأيقن بذلك ولم يكن في كثير منها شك بل هى عنده في الصحة كما شاهد ولا فرق، سئل من أين عرفت ذلك وكيف صح عندك فلا سبيل له اصلا الى ان يصح ذلك عنده الا بخبر منقول نقل

كافة وبالله تعالى التوفيق ، فنقول له حينئذ فرق بين مانقل اليك من كل ذلك وبين كل مانقل اليك من علامات الانبياء ولا سبيل له الى الفرق بين شيء من ذلك أصلا فان قال الفرق بينها وبينها انه لا ينكر أحد هذه الامور وكثير من الناس ينكرون أعلام الانبياء قيل له وبالله تعالى التوفيق ان كثيرا من الناس لايعرفون كثيرا مما صح عندك من الاخبار العارضة لمن كان في بلادك قبلها فليس جهلهم بها ودفعهم لها لو حدثوا بها مخرجا لها عن الصحة وكذلك جحد من جحد أعلام الانبياء ليس مخرجا لها عن الوجوب والصحة فان قال انه ليس يجد الناس على الكذب فيما كان قبلنا من الاخبار مانجدهم على الكذب في أعلام النبوة قيل له وبالله التوفيق هذا كذب بل الامران سواء لافرق بينهما ومن الملوك من يشتد عليهم وصف اسلافهم بالجور والظلم والقبائح ويمحى هذا الباب بالسيف فما دونه فما انتفعوا بذلك في كتمان الحق. قد نقل ذلك كله وعرف كما نقلت فسائل من يغضب من ملوك الزمان من مدحه كفضائل علي رضي الله عنه ماقدر قط ملوك بني مروان على سترها وعليها وقد رام المأمون والمعتصم والواثق على سعة ملكهم لاقطار الارض قطع القول بأن القرآن غير مخلوق فما قدروا على ذلك وكل نبي فله عدو من الملوك والامم يكذبونهم فما قدروا قط على طي اعلامهم ولا على تحقيق مازادوا على ذلك لن يغضب له من لادين له فصح ان الامرين سواء وان الحق حق . فان قال قائل فلعل هذا الذي ظهرت منه المعجزات قد ظفر بطبيعة وخاصية قدر معها على اظهار ماظهر قيل له وبالله التوفيق ان الخواص قد علمت ووجوه الحيل قد أحكمت وليس في شيء منها عمل يحدث عنه اختراع جسم لم يكن كنحو ماظهر من اختراع الماء الذي لم يكن ولا في شيء منه احالة نوع الى نوع آخر دفعة على الحقيقة ولا جنس الى جنس آخر دفعة على الحقيقة وهذا كله قد ظهر على أيدي الانبياء عليهم السلام فصح أنه من عند الله تعالى لا مدخل لعلم انسان ولا حيلة فيه ونحن نبين ان شاء الله الفرق الواضح بين معجزات الانبياء عليهم السلام وبين ما يقدر عليه بالسحر وبين حيل المحائيين

فنقول وبالله تعالى التوفيق

ان العالم كله جوهر وعرض لاسبيل الى وجود قسم ثالث في العالم دون الله تعالى . فأما الجواهر فاختراعها من ليس الى أنس وهو من العدم الى الوجود فممتنع غير ممكن البتة لاحد دون الله تعالى مبتدىء العالم ومخترعه فمن ظهر عليه اختراع جسم كالماء النابع من أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم بحضرة الجيش فهي معجزة شاهد ان الله تعالى له بصحة نبوته لا يمكن غير ذلك أصلا ولذلك احالة الاعراض التي هي جوهريات ذاتيات وهي الفصول التي تؤخذ من الاجناس وذلك كقلب العصا حية وحنين الجذع واحياء الموتى الذين رموا وصاروا عظاما والبقاء في النار ساعات لاتؤذيه وما أشبه ذلك وكذلك الاعراض التي لاتزول الا بفساد حاملها كالفلس والزرق ونحو ذلك فهذا لايقدر عليه أحد دون الله تعالى بوجه من الوجوه . وأما احالة الاعراض من التغيرات التي تزول بغير فساد حاملها فقد تكون بالسحر ومنه طلسمات كتنفير بعض الحيوانات من مكان ما فلا يقربه أصلا وكابعاد البرد ببعض الصناعات وما أشبه هذا وقد يزيد الامر ويفشو العلم ببعض هذا النوع حتى يحبسه أكثر الناس كالطير والاصباغ وما أشبه هذا وأما التخييل نوع من الخديعة كسكين مثقوبة النصاب تدخل فيها السكين ويظن من رآها انها دخلت في جسد المضروب بها في حيل غير هذه من حيل أرباب العجائب والحلاج وأشباهه فأمر يقدر عليه من تعلمه وتعلمه ممكن لكل من أراده فالذي يأتي به الانبياء عليهم السلام هو احالة الذاتيات ومن ذلك صرف الحواس عن طبائعها كمن أراك مالا يراه غيرك أو مسح يده على مريض فأفاق أو سقاه مايضر علته فبرىء أو أخبر عن الغيوب في الجزئيات عن غير تعديل ولا فكرة فهذه كلها احالة الذاتيات وما ثبت اذ ثباتها لايكون الا لنبي فاذ قد تكلمنا على مكان النبوة قبل مجيئها ووجوبها حين وجودها فلنتكلم الآن بحول الله وقوته على امتناعها بعد ذلك فنقول وبالله تعالى التوفيق . اذ قد صح كل ماذكرنا من المعجزات الظاهرة من الانبياء عليهم السلام شهادة من الله تعالى لهم بصدق ما أقوالهم فقد وجب

عاينا الانقياد لما أتوا به ولزمنا تيقن كل ماقالوا وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنقل الكواف التي نقلت نبوته واعلامه وكتابه أنه أخبر أنه لا نبي بعده الا ماجاءت الاخبار الصحاح بنزول عيسى عليه السلام الذى بعث الى بني اسرائيل وادعى اليهود قتله وصلبه فوجب الاقرار بهذه الجملة وصح أن وجود النبوة بعده عليه السلام باطل لا يكون البتة وبهذا يبطل أيضا قول من قال بتواتر الرسل ووجوب ذلك أبدا وبكل ماقدمناه مما أبطلنا به قول من قال بامتناعهما البتة اذ عمدة حجة هؤلاء هي قولهم ان الله حكيم والحكيم لا يجوز في حكمه أن يترك عباده هملا دون انذار

(قال ابو محمد) وقد أحكمنا بحول الله تعالى وقوته قبل هذا أن الله تعالى لا شرط عليه ولا علة موجبة عليه أن يفعل شيئا ولا ان لا يفعله وانه تعالى لو أهمل الناس لكان حقا وحسنا لو خلقهم كما خلق سائر الحيوان الذى لم يلزمه شريعة ولا حظر عليه شيء وانه تعالى لو واتر الرسل والنذارة أبدا لكان حقا وحسنا لما فعل بالملائكة الذين هم حملة وحيه ورسله أبدا وانه تعالى لو خلق الخلق كفارا كلهم لكان ذلك منه حقا وحسنا أو لو خلقهم مؤمنين كلهم لكان حقا وحسنا كما أن الذي فعل تعالى من كل ذلك حق وحسن وانه لا يقبح شيء الا من مأمور منهي تقدمت الاوامر وجوده وسبقت الحدود المرتبة للاشياء كونه، وأما من سبق كل ذلك فله ان يفعل مايشاء ويترك ما يشاء لا معقب لحكمه. وأما الملائكة فكل من له معرفة ببنية العالم والافلاك والعناصر فانه يعلم أن الارض وعمقها أقرب الى الفساد من سائر العناصر ومن سائر الاجرام العلوية وانها مواتية كلها وان الحياة انما هي النفوس المنزلة قسرا الى مجاورة الاجساد الترابية المواتية من جميع الحيوان فقط ثبت يقينا بضرورة المشاهدة أن محل الحياة وعنصرها ومعدنها ومواضعها انما هو هنالك من حيث جاءت النفوس الحية الناقصة بما في طبعها من مجاورة هذه الاجساد والتثبت بها عن كمال ما خص بالحياة الدائمة ولم يشن ولا نقص فضله وصفاؤه بمجاورة الاجساد الكدرة المملوءة آفات ودرنا وعيوبا فصح أن العلو الصافي هو محل الاحياء

الفاضلين السالمين من كل رذيلة ومن كل نقص ومن كل مزاج فاسد المحبوبين بكل فضيلة في الخلق وهذه صفة الملائكة عليهم السلام وصح بهذا أن على قدر سعة ذلك المكان يكون كثرة من فيه من أهله وعماره وانه لانسبة لهذا المحل الضيق والنقطة الكدراء وما هنالك كما لانسبة لمقدار هذا المكان من ذلك وبهذا صحت الرواية وهكذا أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كثرة الملائكة فى الاخبار المسندة الثابتة عنه صلى الله عليه وسلم وبهذا وجب أن يكونوا هم الرسل والوسائط بين الاول تعالى الذى خصهم بالنبوة والرسالة وتعليم العلوم وبين انقاذ النفوس من الهلكة

(الرد على من زعم أن الانبياء عليهم السلام ليسوا أنبياء اليوم ولا الرسل اليوم رسلا)

(قال ابو محمد) حديث فرقة مبتدعة تزعم ان محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب صلى الله عليه وسلم ليس هو الآن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا قول ذهب اليه الاشعرية

وأخبرنى سليمان بن خلف الباجي وهو من مقدميهم اليوم ان محمد بن الحسن بن فورك الاصبهاني على هذه المسئلة قتله بالسم محمود ابن سبكتكين صاحب مادون وراء النهر من خراسان رحمه الله

(قال ابو محمد) وهذه مقالة خبيثة مخالفة لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم ولما أجمع عليه جميع أهل الاسلام مذ كان الاسلام الى يوم القيامة وانما حملهم على هذا قولهم الفاسد أن الروح عرض والعرض يفنى أبدا ويحدث ولا يبقى وقد بين فروح النبي صلى الله عليه وسلم عندهم قد فنيت وبطلت ولا روح له الآن عند الله تعالى وأما جسده ففي قبره موات فبطلت نبوته بذلك ورسالته

(قال ابو محمد) ونعوذ بالله من هذا القول انه كفر صراح لاتردد فيه ويكفى من بطلان هذا القول الفاحش الفظيع انه مخالف لما أمر الله عز وجل به ورسوله صلى الله عليه وسلم واتفق عليه جميع أهل الاسلام من كل فرقة وكل نحلة من الاذان فى الصوامع كل يوم خمس مرات في كل قرية من شرق الارض الى غربها بأعلى أصواتهم قد

قرنه الله تعالى بذكره أشهد أن لا إله الا الله وان محمداً رسول الله فعلى قول هؤلاء الموكلين الي أنفسهم يكون الاذان كذبا ويكون من أمر به كاذبا وانما كان يجب ان يكون الأذان على قولهم أشهد أن محمدا كان رسول الله والا فمن أخبر عن شيء كان وبطل انه كائن الآن فهو كاذب فالأذان كذب على قولهم وهذا كفر مجرد . وكذلك ماتفق عليه جميع أهل الاسلام بلا خلاف من أحد منهم من تلقين مرتام لاإله الا الله محمد رسول الله فانه باطل على قول هؤلاء وكذلك ماعمل به رسول الله صلى الله عليه وسلم مدة قتاله الامة وأمره عن الله عز وجل بأن يعمل به بعده أبدا وأجمع على القول به والعمل جميع اهل الاسلام من اول الاسلام الى آخره ومن شرق الارض الى غربها انسهم وجنهم يقين مقطوع به دون مخالف فيما تخرج به الدماء من التحليل الى التحريم أو الى الحقنة بالجذبة من ان يعرض علي اهل الكفر ان يقولوا لاإله الا الله محمد رسول الله فيجب على قول هؤلاء المحرومين ان هذا باطل وكذب وانما كان يجب ان يكلفوا ان يقولوا محمد كان رسول الله وكذلك قوله تعالى (ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك) وكذلك قوله تعالى (يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم) وقوله تعالى (وجيء بالنبيين والشهداء) فسماهم الله رسلا وقد ماتوا وسماهم نبيين ورسلا وهم في القيامة وكذلك ماأجمع الناس عليه وجاء به النص من قول كل مصل فرضا او نافلة السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته فلو لم يكن روحه عليه السلام موجودا قائما لكان السلام على العدم هدرا . فان قالوا كيف يكون ميتا رسول الله وانما الرسول هو الذى يخاطب عن الله بالرسالة ؟ قيل لهم نعم يكون من أرسله الله تعالى مرة واحدة فقط رسولا لله تعالي أبدا لانه حاصل على مرتبة جلاله لايحطه عنها شيء أبدا ولا يسقط عنه هذا الاسم أبداً ولو كان ماقلتم لوجب ان لا يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم رسولا الي أهل اليمن في حياته لانه لم يكلمهم ولا شافههم ويلزم ايضا ان لايكون رسول الله الا مادام يكلم الناس فاذا سكت أو أكل أو نام أو جامع لم يكن رسول الله

وهذا حمق مشوب بكفر وخلاف للاجماع المتيقن ونعوذ بالله من الخذلان . وايضا فان خبر الاسراء الذى ذكره الله عز وجل في القرآن وهو منقول نقل التواتر وأحد أعلام النبوة ذكر فيه رسول الله صلي الله عليه وسلم أنه رأي الانبياء عليهم السلام في سماء سماء فهل رأى الا أرواحهم التي هى انفسهم ومن كذب بهذا أو بعضه فقد انسلخ عن الاسلام بلا شك ونعوذ بالله من الخذلان وهذه براهين لا محيد عنها وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه أخبر أن لله ملائكة يبلغونه منا السلام وأنه من رآه في النوم فقد رآه حقا ولقد بلغني عن بعضهم أنهم يقولون أن مهات المؤمنين رضوان الله عليهم لسن الآن أمهات المؤمنين لكنهن كن أمهات المؤمنين

(قال ابو محمد) وهذا ضلال بحت وحماقة محضة ولو كان هذا لوجب ان لا تكون أم المرء التى ولدته وأبوه الذي ولده أباه ولا أمه الا في حين الولادة والحمل من الام فقط وفي حين الازال من الاب فقط الابعد ذلك وهذا من السخف الذي لا يرضى به لنفسه ذو مسكة فان قالوا أتقولون أن عمر أمير المؤمنين اليوم أو عثمان ايضا كذلك؟ قلنا لهم لا وهذا اجماع لانه لا يكون أميرا الا بن الائتمار لامره واجب وليس هذا لاحد بعد موته الا للنبي صلى الله عليه وسلم وانما هو لخليفة بعد خليفة طول حياته فقط فبطل ان يكون لهم فيها متعلق . انتهي

نقول هذا ما قاله العلامة ابن حزم في كتابه الفصل ونرى أن نأتي بقول عالم كبير من علمائنا المحدثين وهو الشيخ محمد عبده في كتابه رسالة التوحيد ثم نبدي رأينا على هذه الاقوال وننظر الى أى حد تقاوم الشبهات المادية العصرية ثم نلقى على مجموع هذه المذاهب المتخالفة نظرة عامة ونحاول حلها علي حسب أسلوبنا وبالله التوفيق

قال العلامة الشيخ محمد عبده في كتابه المذكور تحت عنوان حاجة البشر الى الرسالة قال :

﴿ حاجة البشر الى الرسالة ﴾

« سبق لك في الفصل السابق مايهم الكلام عليه من الوجه الاول وهو وجه مايجب على المؤمن اعتقاده في الرسل والكلام في هذا الفصل موجه ان شاء الله

الى بيان الحاجة اليهم وهو معترك الافهام ومزلة الاقدام ومزدحم الكثير من الافكار والارهام ولسنا بصدد الاتيان بما قال الاولون ولا عرض ماذهب اليه الآخرون ولكنا نلزم ما التزمنا في هذه الوريقات من بيان المعتقد والذهاب اليه من أقرب الطرق من غير نظر الى مامال اليه المخالف او استقام عليه الموافق اللهم الا اشارة من طرف خفي او الماعا لا يستغني عنه القول الجلي

« والكلام في بيان الحاجة الى الرسل مسلكان (الاول) وقد سبق الاشارة اليه يبتدىء من الاعتقاد ببقاء النفس الانسانية بعد الموت وأن لها حياة أخري بعد الحياة الدنيا تتمتع فيها بنعيم أو تشقى فيها بعذاب أليم وأن السعادة والشقاء في تلك الحياة الباقية معقودان بأعمال المرء في حياته الفانية سواء كانت تلك الاعمال قلبية كالاعتقادات والمقاصد والارادات أو بدنية كأنواع العبادات والمعاملات

« اتفقت كلمة البشر موحدين ووثنيين ملليين وفلاسفة الا قليلا لا يقام لهم وزن على أن لنفس الانسان بقاء تحيا به بعد مفارقة البدن وانها لاتموت موت فناء وانما الموت المحتوم هو ضرب من البطون والخفاء وان اختلفت منازعهم في تصوير ذلك البقاء وفيما تكون عليه النفس فيه وتباينت مشاربهم في طرق الاستدلال عليه فمن قائل بالتناسخ في أجساد البشر او الحيوان على الدوام ومن ذاهب الى أن التناسخ ينتهي عند ماتبلغ النفس أعلى مراتب الكمال . ومنهم من قال انها متى فارقت الجسد عادت الي تجردها عن المادة حافظة لما فيه لذتها أو ما به شقوتها. ومنهم من رأى أنها تتعلق بأجساد اثيرية ألطف من هذه الاجسام المرئية وكان اختلاف المذاهب في كنه السعادة والشقاء الاخرويين وفيما هو متاع الحياة الآخرة وفي الوسائل التي تعد للنعيم او تبعد عن النكال الدائم وتضارب آراء الامم فيه قديما وحديثا مما لاتكاد تحصى وجوهه

« هذا الشعور العام بحياة بعد هذه الحياة المنبث في جميع الانفس عالمها وجاهلها وحشيها ومستأنسها وباديها وحاضرها قويمها وحديثها لايمكن ان يعد ضلة عقلية او نزغة وهمية وانما هو بالالهامات التي اختص بها هذا النوع

فكما ألهم الانسان عقله ان عقله وفكره هما عماد بقائه في هذه الحياة الدنيا وارشد افراده منه ذهبوا الي ان العقل والفكر ليسا بكافيين للارشاد في عمل ما أو الي أنه لا يمكن للعقل أن يوقن باعتقاد ولا للفكر أن يصل الي مجهول بل قالوا أن لا وجود للعالم الا في اختراع الخيال وانهم شاكون حتي في انهم شاكون ولم يطعن شذوذ هؤلاء في صحة الالهام العام المشعر لسائر أفراد النوع أن الفكر والعقل هما ركن الحياة ورأس البقاء الى الأجل المحدود كذلك قد ألهمت العقول واشعرت النفوس ان هذا العمر القصير ليس هو منتهى ما للانسان في الوجود بل الانسان ينزع هذا الجسد كما ينزع الثوب عن البدن ثم يكون حيا باقيا في طور آخر وان لم يدرك كنهه . ذلك الهام يكاد يزاحم البديهة في الجلاء يشعر كل نفس انها خلقت مستعدة لقبول معلومات غير متناهية من طرق غير محصورة شيقة الى لذائذ غير محدودة ولا واقفة عند غاية مهيأة لدرجة من الكمال لا تحددها اطراف المراتب والغايات ، معرضة لآلام من الشهوات ، ونزغات الاهواء ونزوات الامراض على الاجساد ومصارعة الاجواء والحاجات وضروب من مثل ذلك لا تدخل تحت عد ولا تنتهي عند حد . الهام يستلفتها بعد هذا الشعور الى أن واهب الوجود للانواع انما قدر الاستعداد بقدر الحاجة في البقاء ولم يعهد في تصرفه العبث والكيل الجزاف فما كان استعداده لقبول ما لا يتناهى من معلومات وآلام ولذائذ وكمالات لا يصح أن يكون بقاؤه قاصراً على أيام أو سنين معدودات

شعور يهيج بالارواح الى تحسس هذا البقاء الأبدي وما عسى أن تكون عليه متي وصلت اليه وكيف الاهتداء وأين السبيل وقد غاب المطلوب وأعوز الدليل . شعور بالحاجة الى استعمال عقولنا في تقويم هذه المعيشة القصيرة الأمد لم يكفنا في الاستقامة على المنهج الاقوم بل لزمتنا الحاجة الى التعليم والارشاد وقضاء الازمنة والأعصار في تقويم الانظار وتعديل الافكار واصلاح الوجدان وتثقيف الاذهان ولا نزال الى الآن من هم هذه الحياة الدنيا في اضطراب لا ندري متي نخلص منه وفي شوق الى

طمأنينة لانعلم متى ننتهي اليها

« وهذا شأننا في فهم عالم الشهادة فماذا نؤمل من عقولنا وأفكارنا في العلم بما في عالم الغيب هل فيما بين أيدينا من الشاهد معالم نهتدي بها الى الغائب وهل في طرق الفكر ما يوصل كل أحد الى معرفة ماقدر له في حياة يشعر بها وبان لامندوحة عن القدوم عليها ، ولكن لم يوهب من القوة ما ينفذ الى تفصيل ما اعد له فيها والشؤون التي لابد أن يكون عليها بعد مفارقة ماهو فيه او الى معرفة بيد من يكون تصريف تلك الشؤون . هل في اساليب النظر ما يأخذ بك الى اليقين بمناطها من الاعتقادات والاعمال وذلك الكون مجهول لديك وتلك الحياة في غاية الغموض بالنسبة اليك ؟ كلا فان الصلة بين العالمين تكاد تكون منقطعة في نظر العقل ومرامي الشاعر ولا اشتراك بينهما الا فيك أنت فالنظر في المعلومات الحاضرة لايوصل الى اليقين بحقائق تلك العوامل المستقبلة

« أفليس من حكمة الصانع الحكيم الذى أقام أمر الانسان على قاعدة الارشاد والتعليم الذى خلق الانسان وعلمه البيان علمه الكلام للتفاهم والكتاب للتراسل أن يجعل مراتب الانفس البشرية مرتبة يعد لها بمحض فضله بعض من يصطفيه من خلقه ، وهو اعلم حيث يجعل رسالته ، يميزهم بالفطر السليمة ويبلغ بارواحهم عن الكمال مايليقون معه للاستشراق بأنوار علمه والامانة على مكنون سره مما لو انكشف لغيرهم انكشافه لهم لفاضت نفسه أو ذهبت بعقله جلالته وعظمه فيشرفون على الغيب بأذنه ويعلمون ماسيكون من شأن الناس فيه ويكونون في مراتبهم العلوية على نسبة من العالمين نهاية الشاهد وبداية الغائب فهم في الدنيا كأنهم ليسوا من أهلها وهم وفد الآخرة في لباس من ليس من سكانها ثم يتلقون من أمره أن يحدثوا عن جلاله وما خفي على العقول من شؤون حضرته الرفيعة بما يشاء ان يعتقده العباد فيه وما قدر أن يكون له مدخل في سعادتهم الاخروية وان يبينوا للناس من أحوال الآخرة مالا بد لهم من علمه معبرين منه بما تحتمله طاقة عقولهم ولا يبعد عن متناول افهامهم يبلغون عنه شرائع عامة تحدد لهم سيرهم في تقويم نفوسهم وكبح شهواتهم

وتعلمهم من الاعمال ماهو مناط سعادتهم وشقائهم في ذلك الكون المغيب عن مشاعرهم بتفصيله اللاصق علمه بأعماق ضمائرهم في اجماله ويدخل في ذلك جميع الاحكام المتعلقة بكليات الاعمال ظاهرة وباطنة ثم يؤيدهم بما لا تبلغه قوى البشر من الآيات حتى تقوم بهم الحجة ويتم الاقناع بصدق الرسالة فيكونون بذلك رسلا من لدنه الى خلقه مبشرين ومنذرين

« لاريب ان الذى أحسن كل شيء خلقه وأبدع في كل كائن صنعه وجاد على كل حي بما اليه حاجته ولم يحرم من رحمته حقيراً ولا جليلا من خلقه يكون من رأفته بالنوع الذى أجاد صنعه وأقام له من قبول العلم مايقوم مقام المواهب التي اختص بها غيره ان ينقذه من حيرته ويخلصه من التخبط في أهم حياته والضلال فى أفضل حاليه

« يقول قائل ولم لم يودع في الغرائز ماتحتاج اليه من العلم ولم يضع فيها الانقياد الى العمل وسلوك الطريق المؤدية الى الغاية فى الحياة الآخرة ؟ وما هذا النحو من عجائب الرحمة في الهداية والتعليم وهو قول يصدر عن شطط العقل والغفلة عن موضوع البحث وهو النوع الانساني ذلك النوع على مابه وما دخل في تقويم جوهره من الروح المفكر وما اقتضاه ذلك من الاختلاف في مراتب الاستعداد باختلاف افراده وان لايكون كل فرد منه مستعداً لكل حال بطبعه وان يكون وضع وجوده على عماد البحث والاستدلال فلو ألهم حاجاته كما ألهم الحيوانات لم يكن هو ذلك النوع بل كان أما حيوانا آخر كالنحل والنمل أو ملكا من الملائكة ليس من سكان هذه الارض

(المسلك الثانى) في بيان الحاجة الى الرسالة يؤخذ من طبيعة الانسان نفسه. أرتنا الايام غابرها وحاضرها أن من الناس من يختزل نفسه من جماعة البشر وينقطع الى بعض الغابات أو الى رؤوس الجبال ويستأنس الى الوحش ويعيش عيش الاوابد من الحيوان يتغذي بالاعشاب وجذور النبات ويأوى الى الكهوف والمغاور ويتقى بعض العوادى عليه بالصخور والاشجار ويكتفي من الثياب بما يخصف من ورق الشجر أو جلود الهالك في حيوان البر ولا يزال كذلك حتى يفارق الدنيا ولكن مثل

هذا مثل النحلة تنفرد عن الذبر وتعيش عيشة لاتتفق مع ما قدر لنوعها وانما الانسان نوع من تلك الانواع التي غرز في طبعها أن تعيش مجتمعة وان تعددت فيها الجماعات على أن يكون لكل واحد من الجماعة عمل يعود على المجموع في بقائه وللمجموع من العمل مالاغني للواحد عنه في نمائه وبقائه وأودع في كل شخص من أشخاصها شعورا ما بحاجته الى سائر أفراد الجماعات التي يشملها اسم واحد وتاريخ وجود الانسان شاهد بذلك فلا حاجة الى الاطالة في كيانه وكفاك من الدليل على ان الانسان لا يعيش الا في جملة ماوهبه من قوة النطق فلم يخلق لسانه مستعداً لتصوير المعاني في الالفاظ وتأليف العبارات الا لاشتداد الحاجة به الى التفاهم وليس الاضطرار الى التفاهم بين اثنين او اكثر الا الشهادة بأن لاغني لاحدهم عن الآخر

« حاجة كل فرد من الجماعة الى سائرها مما لايشتبه فيه وكلما كثرت مطالب الشخص في معيشته ازدادت به الحاجة الى الايدي العاملة فتمتد الحاجة وعلى أثرها الصلة من الأهل الي العشيرة ثم الى الامة والى النوع بأسره . وأيامنا هذه شاهدة على أن الصلة التابعة للحاجة قد تعم النوع كما لايخفى . هذه الحاجة خصوصا في الامة التي حققت عنوانها لها صلات وعلائق ميزتها عمن سواها حاجة في البقاء حاجة في التمتع بمزايا الحياة حاجة في جلب الرغائب ودفع المكاره من كل نوع

« لو جرى أمر الانسان على أساليب الخلقة في غيره لكانت هذه الحاجة من أفضل عوامل المحبة بين أفراده عامل يشعر كل نفس ان بقاءها مرتبط ببقاء الكل . فالكل منها بمنزلة بعض قواها المدخرة لمنافعها ودرء مضارها والمحبة عماد السلم ورسول السكينة الى القلوب هي الدافع لكل من المتحابين على العمل لمصلحة الآخر الناهض بكل منهما للمدافعة عنه في حالة الخطر فكان من شأن المحبة أن تكون حفاظا لنظام الامم وروحا لبقائها وكان من حالها ان تكون ملازمة للحاجة على مقتضى سنة الكون فان المحبة حاجة لنفسك الى من تحب أو ما تحب فان اشتدت كانت ولعا وعشقا

« لكن من قوانين المحبة أن تنشأ وتدوم بين متحابين اذ كانت الحاجة الى ذات المحبوب أو ماهو فيها لا يفارقها ولا يكون هذا النوع منها في الانسان الا اذا كان منشؤه أمراً في روح المحبوب وشمائله التى لا تفارق ذاته حتي تكون لذة الوصول في نفس الاتصال لا في عارض يتبعه فاذا عرض التبادل والتعارض ولوحظ فى العلاقة بينهما تحولت المحبة الي رغبة في الانتفاع بالعوض وتعلقت بالمنتفع به لا بمصدر الانتفاع وقام بين الشخصين مقام المحبة إما سلطان القوة أو ذلة المخافة أو الدهان والخديعة من الجانبين

« يحب الكلب سيده ويخاص له ويدافع عنه دفاع المستميت لما يرى انه مصدر الاحسان اليه في سداد عوزه فصورة شبعه وريه وحمايته مقرونة في شعوره بصورة من يكفلها له فهو يتوقع فقدها بفقده فيحرص عليه حرصه علي حياته ولو انه انتقل من حوزته الي حوزة آخر وغاب عنه السنين ثم رآه معرضا لخطر لما عادت اليه تلك الصور يصل بعضها بعضا واندفع الى خلاصه بما تمكنه القوة

« ذلك لان الالهام الذى هدى به شعور الكلب ليس مما تتسع به المذاهب فوجدانه يتردد بين الاحسان ومصدره وليس له وراءهما مذهب لحاجته في سد عوزه هي حاجته الي القائم بأمره فيحبه محبته لنفسه ولا يبخس منها شوب التعاوض في الخدمة

« أما الانسان وما أدراك ماهو فليس أمره على شئ من ذلك ليس مما يلهم ولا يتعلم ولا ممن يشعر ولا يتفكر بل كان كماله النوعي في اطلاق مداركه عن القيد ومطالبه عن النهايات وتسليمه على صغره الى العالم الاكبر علي جلالته وعظمه يصارعه بعوامله وهي غير محصورة حتي يعتصر منه منافعه وهي غير محدودة وايداعه من قوى الادراك والعمل ما يعينه على المغالبة ويمكنه من المطالبة بسعيه ورأيه ويتبع ذلك أن يكون له في كل كائن مما يصل اليه لذة وبجوار كل لذة ألم ومخافة فلا تنتهي رغائبه الى غاية ولا تقف مخاوفه عند نهاية (ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا) تفاوتت أفراده في مواهب الفهم وفي قوي العمل وفي الهمة

والعزم فمنهم المقصر ضعفاً أو كسلا المتطاول في الرغبة شهوة وطمعا يرى في أخيه أنه العون له علي مايريد من شؤون وجوده لكنه يذهب من ذلك الى تخيل اللذة في الاستئثار بجميع مافي يده ولا يقنع بمعاوضته في ثمرة من ثمار عمله وقد يجد اللذة في أن يتمتع ولا يعمل ويرى الخير في أن يقيم مقام العمل اعمال الفكر في استنباط ضروب الحيل ليتمتع وان لم ينفع ويغلب عليه ذلك حتي يخيل له أن لا ضير عليه لو انفرد بالوجود عمن يطلب مغالبته ولا يبالي بارساله الى عالم العدم بعد سايه فكلما حثه الذكر والخيال الى دفع مخافة أو الوصول الي لذيذ فتح له الفكر بابا من الحيلة أو هيأ له وسيلة لاستعمال القوة فقام التناهب مقام التواهب وحل الشقاق محل الوفاق وصار الضابط لسيرة الانسان اما الحيلة واما القهر

« هل وقف الهوي بالانسان عند التنافس في اللذائذ الجسدانية وتجالد أفراده طمعا في وصول كل الي مايظنه غاية مطلبه وان لم تكن له غاية . كلا ولكن قدر له أن تكون له لذائذ روحانية وكان من أعظم همه أن يشعر بالكرامة له في نفس غيره ممن تجمعه معهم جامعة ما حسبما يمتد اليه نظره وقد بلغت هذه الشهوة حداً من الانفس كادت تتغلب علي جميع الشهوات وأخذت لذة الوصول اليها من الارواح مكانا كاد لا تصعد اليه سائر اللذات وهي من أفضل العوامل في احراز الفضائل وتمكين الصلات بين الافراد والامم لو صرفت فيما سيقت لاجله ولكن انحرف بها السبيل كما انحرف بغيرها للاسباب التي أشرنا اليها من التفاوت في مراتب الادراك والهمة والعزيمة حتي خيل لكثير من العقلاء أن يسعي الى اعلاء منزلته في القلوب باخافة الامن وازعاج الساكن واشعار القلوب رهبة المخافة لا تهيب الحرمة

« وهل يمكن مع هذا أن يستقيم أمر جماعة بني نظامهم وعلق بقاؤهم في الحياة على تعاونهم ورفد بعضهم بعضا في الاعمال أو لا تكون في هذه الافاعيل السابق ذكرها سببا في تفانيهم ؟ لاريب ان البقاء على تلك الاحوال من ضروب المحال فلا بد للنوع الانساني في حفظ بقائه من المحبة أو ماينوب منابها

« لجأ بعض أهل البصيرة في أزمنة مختلفة الى العدل وظنوا كما ظن بعض العارفين ونطق به في كلمة جليلة أن العدل نائب المحبة . نعم لايخلو القول من حكمة ولكن من الذى يضع قواعد العدل ويحمل الكافة على رعايتها ؟ قيل ذلك هو العقل فكما كان الفكر والذكر والخيال ينابيع الشقاء كذلك تكون وسائل السعادة وفيها مستقر السكينة . وقد رأينا ان اعتدال الفكر وسعة العلم وقوة العقل واصالة الحكم تذهب بكثير من الناس الى ماوراء حجب الشهوات وتعلو بهم فوق ماتخيله المخاوف فيعرفون لكل حق حرمته ويميزون بين لذة مايفني ومنفعة مايبقى وقد جاء منهم أفراد في كل أمة وضعوا أصول الفضيلة وكشفوا وجوه الرذيلة وقسموا أعمال الانسان الى ماتحضر لذته وتسوء عاقبته وهو مايجب اجتنابه ، والى ما قد يشق احتماله ولكن تسر عقباته وهو ما يجب الاخذ به . ومنهم من انفق فى الدعوة الى رأيه نفسه وماله وقضى شهيد اخلاصه في دعوة قومه الى ما يحفظ نظامهم فهؤلاء العقلاء هم الذين يضعون قواعد العدل وعلى أهل السلطة أن يحملوا الكافة على رعايتها وبذلك يستقيم أمر الناس

« هذا قول لا يجافي الحق ظاهره ولكن هل سمع في سيرة الانسان وهل ينطبق على سنته أن يخضع كافة أفراده أو الغالب منهم لرأى العاقل لمجرد أنه الصواب ، وهل كفى في اقناع جماعة منه كشعب أو أمة قول عقلهم انهم مخطئون وأن الصواب فيما يدعون اليه ، وان أقام على ذلك من الادلة ماهو أوضح من الضياء ، وأجلى من ضرورة المحبة للبقاء ؟ كلا لم يعرف ذلك فى تاريخ الانسان ولا هو مما ينطبق على سنته فقد تقدم لنا أن مهب الشقاء هو تفاوت الناس في الادراك وهم مع ذلك يدعون المساواة في العقول والتقارب في الاصول ولا يعرف جمهورهم من حال الفاضل الا كما يعرف من أمر الجاهل ومن لم يكن فى مرتبتك من العقل لم يذق مذاقك من الفضل فمجرد البيان العقلي لايدفع نزاعا ولا يرد طماعا نينة وقد يكون القائم على ماوضع من شريعة العقل ممن يزعم أنه أرفع من واضعها فذهب بالناس مذهب شهواته فتذهب حرمتها وينهد بناؤها ويفقد ماقصد بوضعها

« أضف الى ما سبق من لوازم نزعات الفكر ونزعات الاهواء شعورا هو الصق بالغريزة البشرية وأشد لزوما لها . كل انسان مهما علا فكره وقوى عقله او ضعفت فطنته وانحطت فطرته ، يجد من نفسه أنه مغلوب لقوة ارفع من قوته وقوة ما آنس منه الغلبة عليه مما حوله وانه محكوم بارادة تصرفه وتصرف ماهر فيه من العوالم في وجوه قد لا نعرفها معرفة العارفين ولا تتطرف اليها ارادة المختارين تشعر كل نفس أنها مسوقة لمعرفة تلك القوة العظمى فتطلبها من حسها تارة ومن عقلها اخرى لا سبيل لها الا الطريق التي حددت لنوعها وهي طريق النظر فذهب كل في طلبها وراء رائد الفكر فمنهم من تأولها ببعض الحيوانات لكثرة نفعها او شدة ضررها ، ومنهم من تمثلت له في بعض الكواكب لظهور اثرها . ومنهم من حجبته الاشجار والاحجار لاعتبارات له فيها ، ومنهم من تبدت له آثار قوى مختلفة في انواع متفرقة تماثل في افراد كل نوع وتتخالف بتخالف الانواع فجعل لكل نوع إلها . ولكن كلما رق الوجدان ولطفت الاذهان ونفذت البصائر ارتفع الفكر وجلت النتائج فوصل من بلغ به علمه بعض المنازل من ذلك الى معرفة هذه القدرة الباهرة واهتدى الى انها قدرة واجب الوجود غير ان من اسرار الجبروت ما غمض عليه فلم يسلم من الخبط فيه ثم لم يكن له من الميزة الفائقة في قومه ما يحملهم على الاهتداء بهديه فبقي الخلاف ذائعا والرشد ضائعا.

اتفق الناس في الاذعان لما فاق قدرهم وعلا متناول استطاعتهم لكنهم اختلفوا في فهم ما تاجئهم الفطرة الى الاذعان له اختلافا كان اشد اثرا في التقاطع بينهم واثارة اعاصير الشقاق فيهم من اختلافهم في فهم النافع والضار لغلبة الشهوات عليهم

« ان كان الانسان قد فطر على أن يعيش في جملة ولم يمنح مع تلك الفطرة ما منحه النحل وبعض أفراد النمل مثلا من الالهام الهادي الى ما يلزم لذلك وانما ترك الى فكره يتصرف به على نحو ما سبق كما فطر على الشعور بقاهر تنساق نفسه بالرغم عنها الى معرفته ولم يفض عليه مع ذلك الشعور عرفانه بذات ذلك القاهر ولا صفاته وانما ألقى به في مطارح

النظر تحمله الافكار في مجاريها وترمي به الى حيث يدرى ولا يدرى وفي كل ذلك الويل على جامعته والخطار على وجوده فهل مني هذا النوع بالنقص ورزي بالقصور عن مثل مابانه اضعف الحيوانات واحطها في منازل الوجود؟ نعم هو كذلك لولا ماأتاه الصانع الحكيم من ناحية ضعفه

«الانسان عجيب في شأنه يصعد بقوة عقله الى اعلى مراتب الملكوت ويطاول بفكره ارفع معالم الجبروت ويسامي بقوته ما يعظم عن ان يسامى من قوى الكون الاعظم ثم يصغر ويتضاءل وينحط الى ادني درك من الاستكانة والخضوع مني عرض له امر مالم يعرف سببه ولم يدرك منشأه ذلك لسر عرفه المستبصرون واستشعرته نفوس الناس اجمعين

«من ذلك الضعف قيد الى هداه ومن تلك الضعة اخذ بيده الى شرف سعادته . اكمل الواهب الجواد لجملته مااقتضت حكمته في تخصيص نوعه بما يميزه عن غيره ان ينقص من افراده وكما جاد على كل شخص بالعقل المصرف للحواس لينظر في طلب القمة وستر العورة والتوقي من الحر والبرد جاد على الجملة بما هو أمس بالحاجة في البقاء وآثر في الوقاية من غوائل الشقاء وأحفظ لنظام الاجتماع الذي هو عماد كونه بالاجتماع . من عليه بالنائب الحقيقي عن المحبة بل الراجع بها الى النفوس التي اقفرت منها لم تخالف سنته فيه من بناء كونه على قاعدة التعليم والارشاد غير انه اتاه مع ذلك من اضعف الجهات فيه وهي جهة الخضوع والاستكانة فأقام له من بين افراده مرشدين هادين وميزهم من بينهم بخصائص في انفسهم لايشركهم فيها سواهم وأيد ذلك زيادة في الاقناع بآيات باهرات تملك النفوس وتأخذ الطريق على سوابق العقول فيستخذي الطامح ويذل الجامح ويصطدم بها عقل العاقل فيرجع الى رشده وينبهر لها بصر الجاهل فيرتد عن غيه يطرقون القلوب بقوارع من امر الله ويدهشون المدارك ببواهر من آياته فيحيطون العقول بما لامندوحة عن الاذعان له ويتوى في الركون لما يجيئون به المالك والمملوك والسلطان والصعلوك والعاقل والجاهل والمفضول الفاضل فيكون الاذعان لهم أشبه

بالاضطرارى منه بالاختيارى النظرى يعلمونهم ماشاء الله أن يصلح به معاشهم ومعادهم وما أرادوا ان يعلموه من شئون ذاته وكمال صفاته وأولئك هم الانبياء والمرسلون. فبعثة الانبياء صلوات الله عليهم من متممات كون الانسان ومن اهم حاجاته في بقائه ومنزاتها من النوع منزلة العقل من الشخص نعمة اتمها الله لكيلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وسنتكلم عن وظيفتهم بنوع من التفصيل فيما بعد. ثم قال الاستاذ:

﴿ امكان الوحي ﴾

« الكلام في امكان الوحي يأتي بعد تعريفه لتصوير المعنى الذى يراد منه ولنعرف المعني الحاصل بالمصدر نيفهم معني المصدر نفسه ولا يعنينا ماتثيره الالفاظ في الاذهان ولنذكر من اللغة ماتناسبه . يقال وحيت اليه واوحيت اذا كلمته بما تخفيه عن غيره. والوحي مصدر من ذلك والمكتوب والرسالة وكل ماالقيته الي غيرك ليعلمه . ثم غلب فيما يلقى الي الانبياء من قبل الله . وقيل الوحي اعلام في خفاء . ويطلق ويراد به الموحي . وقد عرفوه شرعا انه كلام الله تعالي المنزل على نبي من انبيائه . وأما نحن فنعرفه علي شرطنا بأنه عرفان يجد الشخص من نفسه مع اليقين بأنه من قبل الله بواسطة أو بغير واسطة والاول بصوت يتمثل لسمعه أو بغير صوت ويفرق بينه وبين الالهام بان الالهام وجدان تستيقنه النفس وتنساق الى مايطلب على غير شعور منها من اين اتي وهو أشبه وجدان الجوع والعطش والحزن والسرور . أو امكان حصول هذا النوع من العرفان (الوحي) وانكشاف مغاب من مصالح البشر عن عامتهم لمن يختصه الله بذلك وسهولة فهمه عند العقل فلا تراه ثم مايصعب ادراكه الا على من يريد أن لايدرك ويحب ان يرغم نفسه الفهامة على أن لايفهم . نعم انه يوجد في كل امة وفي كل زمان أناس يقذف بهم الطيش والنقص في العلم الى ماوراء سواحل اليقين فيسقطون في غمرات من الشك في كل مالم يقع تحت حواسهم الخمس . بل قد يدركهم الريب فيما هو من متناولها كما سبقت الاشارة اليه فكأنهم بسقطتهم هذه انحطوا الى ماهو ادنى من مراتب انواع اخري من الحيوان فينسون لعقل

وشؤونه وسره ومكنونه ويجدون في ذلك لذة الاطلاق عن قيود الاوامر والنواهي بل عن محابس الحشمة التي تضمهم الى التزام ما يليق وتحجزهم عن مقارفة مالا يليق كما هو حال غير الانسان من الحيوان فاذا عرض عليهم شيء من الكلام في النبوات والاديان وهم من أنفسهم هام بالاصغاء دفعوه بما أوتوا من الاختيار في النظر وانصرفوا عنه وجعلوا أصابعهم في آذانهم حذر ان يخالط الدليل أذهانهم فيلزمهم العقيدة وتتبعها الشريعة فيحرموا لذة ما ذاقوا وما يحبون أن يتذوقوا وهو مرض في الانفس والقلوب يستشفى منه بالعلم ان شاء الله

« قلت أي استحاله في الوحي وان ينكشف لفلان مالاينكشف لغيره من غير فكر ولا ترتيب مقدمات مع العلم ان ذلك من قبل واهب الفكر ومانح النظر متى حفت العناية من ميزته هذه النعمة

« مما شهدت به البديهة أن درجات العقول متفاوتة يعلو بعضها بعضا وان الادنى منها لايدرك ماعليه الاعلى الا على وجه من الاجمال وان ذلك ليس لتفاوت المراتب في التعليم فقط بل ولابد معه من التفاوت في الفطر الذي لامدخل فيها لاختيار الانسان وكسبه ولا شبهة في أن من النظريات عند بعض العقلاء ما هو بديهي عند من هو أرقي منه ولاتزال المراتب ترتقي في ذلك الى مالا يحصره العدد وان من أرباب الهمم وكبار النفوس مايرى البعيد عن صغارها قريبا فيسعى اليه ثم يدركه والناس دونه ينكرون بدايته ويعجبون لنهايته ثم يألفون ماصار اليه كأنه من المعروف الذي لاينازع والظاهر الذي لايجاحد فاذا انكره منكر ثاروا عليه ثورتهم في بادىء الامر على من دعاهم اليه ولا يزال هذا الصنف من الناس على قلته ظاهراً في كل أمة الى اليوم

« فاذا سلم ولا محيص عن التسليم بما أسلفنا من المقدمات فمن ضعف العقل والنكول عن النتيجة اللازمة لمقدماتها عند الوصول اليها أن لايسلم بأن من النفوس البشرية مايكون لها من نقاء الجوهر بأصل الفطرة مانستعد به من محض الفيض الالهي أن تتصل بالافق الاعلى وتنتهي من الانسانية الى الذروة العليا وتشهد من أمر الله شهود العيان مالم

يصل غيرها الى تعقله أو تحسسه بعض الدليل والبرهان وتتلقى عن العالم الحكيم مايعلو وضوحا على مايتلقاه أحدنا عن أساتذة التعليم ثم تصدر عن ذلك العلم الى تعليم ماعلمت ودعوة الناس الى ماحملت على ابلاغه اليهم وأن يكون ذلك سنة الله فى كل أمة وفي كل زمان على حسب الحاجة يظهر برحمته من يختصه بعنايته لبقى للاجتماع بما يضطر اليه من مصلحته الى ان يبلغ النوع الانسانى شده وتكون الاعلام التي نصبها لهدايته الى سعادته كافية في ارشاده فتختم الرسالة ويغلق باب النبوة كما سنأتي عليه في رسالة نبينا صلى الله عليه وسلم

« أما وجود بعض الارواح العالية وظهورها لاهل تلك المرتبة السامية فما لا استحالة فيه بعد ما عرفنا من أنفسنا وأرشدنا اليه العلم قديمه وحديثه من اشتمال الوجود على ماهو الطف من المادة وان غيب عنا فأى مانع من أن يكون بعض هذا الوجود اللطيف مشرقا لشيء من العلم الالهى وان يكون لنفوس الانبياء اشراف عليه فاذا جاء به الخبر الصادق حملنا على الاذعان بصحته

« أما تمثل الصوت وأشباح تلك الارواح في حس من اختصه الله بتلك المنزلة فقد عهد عند أعداء الانبياء مالا يبعد عنه في بعض المصابين بأمراض خاصة على زعمهم فقد سلموا ان بعض معقولاتهم يتمثل فى خيالهم ويصل الى درجة المحسوس فيصدق المريض فى قوله انه يرى ويسمع بل يجالد ويصارع ولا شيء من ذلك في الحقيقة واقع ، فان جاز التمثل في الصور المعقولة ولا منشأ لها الا فى النفس وان ذلك يكون عند عروض عارض على المخ فلم لايجوز تمثل الحقائق المعقولة فى النفوس العالية وأن يكون ذلك لها عند ماتنزع عن عالم الحس وتتصل بمظاهر القدس وتكون تلك الحال من لواحق صلة العقل في أهل تلك الدرجة لاختصاص مزاجهم بما لا يوجد في مزاج غيرهم وغاية مايلزم عنه ان يكون لعلاقة أرواحهم بأبدانهم شأن غير معروف في تلك العلاقة من سواهم وهو مما يسهل قبوله بل يتحتم لان شأنهم فى الناس ايضا غير الشؤون المألوفة وهذه المغايرة من أهم ماامتازوا به وقام منها الدليل على رسالتهم والدليل على سلامة شهودهم وصحة مايحدثون عنه

ان أمراض القلوب تشفى بدوائهم وان ضعف العزائم والعقول يتبدل بالقوة في أممهم التي تأخذ بمقالهم . ومن المنكر فى البديهة ان يصدر الصحيح من معتل ويستقيم النظام بمختل

« اما ارباب النفوس العالية والعقول السامية من العرفاء ممن لم تدن مراتبهم من مراتب الانبياء ولكنهم رضوا أن يكونوا لهم أولياء على شرعهم ودعوتهم امناء فكثير منهم نال حظه من الانس بما يقارب تلك الحال في النوع أو الجنس لهم مشارفة في بعض أحوالهم على شيء من عالم الغيب ولهم مشاهد صحيحة في عالم المثال لاتنكر عليهم لتحقق حقائقها في الواقع فهم لذلك لايستبعدون شيئا مما يحدث به عن الانبياء صلوات الله عليهم ومن ذاق عرف ومن حرم انحرف ودال صحة مايتحدثون به وعنه ظهور الاثر الصالح منهم وسلامة أعمالهم مما يخالف شرائع أنبيائهم وطهارة أفكارهم مما ينكره العقل الصحيح أو يمجه الذوق السليم واندفاعهم بباعث من الحق الناطق في سرائرهم المتلألىء فى بصائرهم الى دعوة من يخف بهم الي مافيه خير العامة وترويح قلوب الخاصة ولا يخلو العالم من متشبهين بهم ولكن أسرع ماينكشف حالهم ويسوء مآلهم وما آل من غرروا به ولا يكون لهم الا سوء الاثر فى تضليل العقول وفساد الاخلاق وانحطاط شأن القوم الذين رزؤا بهم الا أن يتداركهم الله بلطفه فتكون كلمتهم الخبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض مالها من قرار. فلم يبق بين المكرين لاحوال الانبياء ومشاهدهم وبين الاقرار بامكان ما أنبأوا به بل ووقوعه الاحجاب من العادة وكثيراً ماحجبت العقول حتي عن ادراك أمور معتادة . ثم قال الاستاذ :

﴿ وقوع الوحي والرسالة ﴾

« والدليل على رسالة نبي وصدقه فيما يحكي عن ربه ظاهر للشاهد الذى يرى حاله ويبصر ما آتاه الله من الآيات البينات ويحقق بالعيان مايغنيه عن البيان كما سلف فى الوجه الاول من الكلام على الرسالة أما الغائب عن زمن البعثة فدليلها التواتر وهو كما تبين فى علم آخر رواية خبر عن مشهود من جماعة يستحيل تواطؤهم على الكذب وآيته قهر النفس على اليقين بما جاء فيه كالاخبار بوجود مكة أو بأن

للصين عاصمة تسمى بكين وسبب استحالة التواطؤ على الكذب استيفاء الخبر لشرائط معلومة وخلوه من عوارض تضعف الثقة به ومرجع كل ذلك الى العدد وبعد الراوى عن التشيع لمضمون الخبر

« لانزاع بين العقلاء في أن هـذا النوع من الاخبار يحصل اليقين بالمخبر به وانما النزاع فى اعتبارات تتعلق به ومن الانبياء ماستوفي الخبر عنهـم شرائط التواتر كابراهيم وموسى وعيسى ومما جاء به الخبر انهم لم يكونوا فيمن بعثوا بينهم بالاقوى سلطانا ولا بالاكثر مالا ولم يختصهم احد بالعناية بهـم لتعليمهم علم مادعوا اليه وغاية الامر انهم لم يكونوا من الادنين الذين تعافهم النفوس وتنبو عنهم الانظار ومع ذلك واستحكام السلطان لغيرهم ووفرة المال لديه واستعلائه عليهم بما كسب من العلم قاموا بدعوة الى الله على رغم الملوك واجنادهم وصاحوا بهم صيحة زلزلتهم فى عروشهم وادعوا انهم يبلغون عن خالق السموات والارض ما أراد شرعه للناس واقاموا من الدليل ماتصاغرت دونه قوة المعارضة ثم ثبتت في الكون شرائعهم ثبات الغريزة في الفطر

« وكان الخير لامهم في اتباع ماجاؤا به حالفتهم القوة واحتضنتهم السعادة وكانوا قائمين عليها ورزأهم الضعف وغالبهم الشقاء ماانحرفوا عنها وخلطوا فيها فهذا وماأقاموه من الأدله عند التحدي لايصح معه في العقل أن يكونوا كاذبين في حديثهم عن الله ولا في دعواهم أنه كان يوحي اليهم ماشرعوا للناس على أن من لايعتقد مايقول لايبقى لمقاله أثر فى العقول والباطل لابقاء له الا الا فى الغفلة عنه. كالنبات الخبيث فى الارض الطيبة ينبت باهمالها وينمو باغفالها فاذا لامستها عناية الزارع غلبه الخصب وذهب به الزكاء ولكن تلك الديانات التي جاء بها اولئك الانبياء قامت في العالم الانساني ماشاء الله مما قدر لها مقام سائر قواه مع كثرة المعارضين وقوة سلطان المغالبين فلا يمكن أن يكون اسها الكذب ودعامتها الحيلة وكلامنا هـذا في جوهرها الذى يلوح دائما في خلال ماألحق بهـا المبتدعون. أما بقيـة الرسل مما يجب علينا الايمان بهم فيكفي فى اثبات نبوتهم اثبات رسالة نبينا صلى الله عليه وسلم فقد أخبرنا برسالتهم وهو الصادق فيما بلغ به وسنأتي على الكلام

في رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في باب على حدته ان شاء الله

﴿وظيفة الرسل عليهم السلام﴾

« تبين مما تقدم في حاجة العالم الانساني الى الرسل انهم من الامم بمنزلة العقول من الاشخاص وان بعثتهم حاجة من حاجات العقول البشرية قضت رحمة المبدع الحكيم بسدادها ونعمة من نعم واهب الوجود ميز بها الانسان عن بقية الكائنات من جنسه ولكنها حاجة روحية وكل مالامس الحس منها فالقصد فيه الى الروح وتطهيرها من دنس الاهواء الضالة أو تقويم ملكاتها أو ايداعها مافيه سعادتها في الحياتين اما تفصيل طريق المعيشة والحذق في وجوه الكسب وتطاول شهوات العقل الى درك ما أعد للوصول اليه من أسرار العلم فذلك مما لا دخل للرسالات فيه الا من وجه العظة العامة والارشاد الى الاعتدال فيه وتقرير ان شرط ذلك كله أن لا يحدث ريبا في الاعتقاد بأن للكون إلها واحدا قادرا عالما حكيما متصفا بما أوجب الدليل ان يتصف به وباستواء نسبة الكائنات اليه في انها مخلوقة له وصنع قدرته وان تفاوتها فيما اختص به بعضها من الكمال وشرطه أن لا ينال شيء من تلك الاعمال السابقة احدا من الناس بشر في نفسه أو عرضه أو ماله بغير حق يقتضيه نظام عامة الامة على ماحد في شريعتها

« يرشدون الخلق الى معرفة الله وما يجب أن يعرف من صفاته ويبينون الحد الذي يجب أن يقف عنده في طلب ذلك العرفان على وجه لا يشق عليه الاطمئنان اليه ولا يرفع ثقته بما آتاه الله من القوة . يجمعون كلمة الخلق على الاله واحد لا فرقة معه ويخلون السبيل بينهم وبينه وحده ينهضون نفوسهم الى التعلق به في جميع الاعمال والمعاملات ويذكرونهم بعظمته بفرض ضروب من العبادات فيما اختلف من الاوقات تذكرة لمن ينسى وتزكية مستمرة لمن يخشى تقوى ما ضعف منهم وتزيد المستيقن يقينا

« يبينون للناس ما اختلفت عليه عقولهم وشهواتهم وتنازعته مصالحهم ولذاتهم فيفصلون في تلك المخاصمات بأمر الله الصادع ما يؤيدون بما يبلغون عنه ما تقوم به المصالح العامة ولا تفوت به المنافع الخاصة . يعودون بالناس الى الالفة

ويكشفون لهم سر المحبة ويلفتونهم الي أن فيها انتظام شمل الجماعة ويفرضون عليهم مجاهدة أنفسهم ليستوطوها قلوبهم ويشعروها أفئدتهم . يعلمونهم لذلك أن يرعي كل حق الآخر وان كان لا يغفل حقه وأن لا يتجاوز في الطلب حده وأن يعين قويهم ضعيفهم ويمد غنيهم فقيرهم ويهدي راشدهم ضالهم ويعلم عالمهم جاهلهم

« يضعون لهم بأمر الله حدودا عامة يسهل عليهم أن يردوا اليها أعمالهم كاحترام الدماء البشرية الا بحق مع بيان الحق الذي تهدر له وحظر تناول شيء مما كسبه الغير الا بحق مع بيان الحق الذى يبيح تناوله واحترام الاعراض مع بيان ما يباح وما يحرم من الابضاع ويشرعون لهم مع ذلك ان يقوموا أنفسهم بالملكات الفاضلة كالصدق والامانة والوفاء بالعقود والمحافظة علي العهود والرحمة بالضعفاء والاقدام على نصيحة الاقوياء والاعتراف لكل مخلوق بحقه بلا استثناء . يحملونهم على تحويل أهوائهم عن اللذائذ الفانية الى طلب الرغائب السامية آخذين في ذلك كله بطرف من الترغيب والترهيب والانذار والتبشير حسبما أمرهم الله جل شأنه

« يفصلون فى جميع ذلك للناس ما يؤهلهم لرضاء الله عنهم وما يعرضهم لسخطه عليهم ثم يحيطون بيانهم بنبأ الدار الآخرة وما أعد الله فيها من الثواب وحسن العقبى لمن وقف عند حدوده وأخذ بأوامره وتجنب الوقوع في محاظيره يعلمونهم من أنباء الغيب ما أذن الله لعباده في العلم به مما لو صعب على العقل اكتناهه لم يشق عليه الاعتراف بوجوده

« بهذا تطمئن النفوس وتثلج الصدور ويعتصم المرزوء بالصبر انتظارا لجزيل الاجر أو ارضاء لمن بيده الامر وبهذا ينحل أعظم مشكل فى الاجتماع الانساني لا يزال العقلاء يجهدون أنفسهم في حله الي اليوم

« ليس من وظائف الرسل ما هو من عمل المدرسين ومعلمي الصناعات فليس مما جاؤا له تعليم التاريخ ولا تفصيل ما يحويه عالم الكواكب ولا بيان ما اختلف من حركاتها ولا ما استكن فى طبقات الارض ولا مقادير الطول فيها والعرض ولا ما تحتاج اليه النباتات في نموها ولا

ماتفتقر اليه الحيوانات فى بقاء أشخاصها وأنواعها وغير ذلك مما وضعت له العلوم وتسابقت في الوصول الى دقائقه الفهوم فان ذلك كله من وسائل الكسب وتحصيل طرق الراحة ، هدى الله اليه البشر بما أودع فيهم من الادراك يزيد فى سعادة المحصلين ويقضي فيه بالكد على المقصرين ولكن كانت سنة الله فى ذلك أن يتبع طريقة التدرج في الكمال وقد جاءت شرائع الانبياء بما يحمل على الاجمال بالسعي فيه وما يكفل التزامه بالوصول الى ماأعد الله له الفطر الانسانية من مراتب الارتقاء.

« أما ماورد في كلام الانبياء من الاشارة الى شيء مما ذكرنا في أحوال الافلاك او هيئة الارض فانما يقصد منه النظر الى مافيه الدلالة على حكمة مبدعه او توجيه الفكر الي الغوص لادراك أسراره وبدائعه ولفتهم عليهم الصلاة والسلام فى مخاطبة أممهم لايجوز أن تكون فوق مايفهمون والا ضاعت الحكمة في إرسالهم ولهذا قد يأتي التعبير الذى يسبق الى العامة بما يحتاج الى التأويل والتفسير عند الخاصة وكذا ماوجه الي الخاصة يحتاج الى الزمان الطويل حتي يفهمه العامة وهذا القسم أقل ماورد في كلامهم

« على كل حال لايجوز ان يقام الدين حاجزاً بين الارواح وبين ماميزها الله به من الاستعداد للعلم بحقائق الكائنات الممكنة بقدر الامكان بل يجب أن يكون الدين باعثا لها على طلب العرفان مطالبا لها باحترام البرهان فارضا عليها أن تبذل ماتستطيع من الجهد فى معرفة مابين يديها من العوالم ولكن مع التزام القصد والوقوف في سلامة الاعتقاد عند الحد ومن قال غير ذلك فقد جهل الدين وجنى عليه جناية لايغفرها له رب الدين

﴿ اعتراض مشهور ﴾

« قال قائل ان كانت بعثة الرسل حاجة من حاجات البشر وكمالا لنظام اجتماعهم وطريقا لسعادتهم الدنيوية والاخروية فما بالهم لم يزالوا أشقياء ، عن السعادة بعداء ، يتخالفون ولا يتفقون يتقاتلون ولا يتناصرون ، يتناهبون ولا يتناصفون ، كل يستعد للوثبة ولا ينتظر الا مجيء النوبة ، حشو جلودهم الظلم وملء قلوبهم الطمع ، عدا أهل كل ذى دين دينهم حجة لمقارعة من خلفهم واتخذوا منه

سببا جديدا للعداوة والعدوان فوق ما كان من اختلاف المصالح والمنافع . بل أهل الدين الواحد قد تنشق عصاهم وتختلف مذاهبهم فى فهمه وتتفارق عقولهم في عقائدهم ويثور بينهم غبار الشر وتنشب أهواؤهم بالفتن فيسفكون دماءهم ويخربون ديارهم الى ان يغلب قويهم ضعيفهم فيستقر الامر للقوة لا للحق والدين . فما هو الدين الذى تقول انه جامع الكلمة ورسول المحبة كان سببا في الشقاق ومضرما للضغينة فما هذه الدعوي وما هذا الاثر ؟

نقول في جوابه نعم كل ذلك قد كان ولكن بعد زمن الانبياء وانقضاء عهدهم ووقوع الدين في أيدى من لا يفهمه أو يفهمه ويغلو فيه أو لا يغلو فيه ولكن لم يمتزج حبه بقلبه او امتزج بقلبه حب الدين ولكن ضاقت سعة عقله عن تصريفه تصريف الانبياء أنفسهم أو الخيرة من تبعتهم والا فقل لنا أى نبي لم يأت أمته بالخير الجم والفيض الاعم ولم يكن دينه وافيا بجميع ما كانت تمس اليه حاجتها فى افرادها وجملتها ؟

« أظن انك لا تخالفنا في ان الجمهور الاعظم من الناس بل الكل الا قليلا لا يفهمون فلسفة افلاطون ولا يقيسون أفكارهم وآراءهم بمنطق ارسطو بل لو عرض أقرب المعقولات الى العقول عليهم بأوضح عبارة يمكن ان يأتي بها معبر لما أدركوا منها الا خيالا لا أثر له في تقويم النفس ولا في اصلاح العمل فاعتبر هذه الطبقات في حالها التي لا تفارقها من تلاعب الشهوات بها ثم انصب نفسك واعظا بينها في تخفيف بلاء ساقه النزاع اليها فأى الطرق أقرب اليك في مهاجمة شهواتهم وردها الي الاعتدال فى رغائبها ؟

« من البديهى انك لا تجد الطريق الأقرب فى بيان مضار الاسراف في الرغب وفوائد القصد في الطلب وما ينحو نحو ذلك مما لا يصل اليه أرباب العقول السامية الا بطويل النظر وانا نجد أقصد الطرق وأقومها أن يأتي اليه من نافذة الوجدان المطلة على سر القهر المحيط به من كل جانب فتذكره بقدرة الله الذى وهبه ما وهب الغالب عليه في ادنى شؤونه اليه المحيط بما فى نفسه الآخذ بأزمة همه وتسوق اليه من الامثال في ذلك ما يقرب الي فهمه ثم تروي له ما جاء فى الدين المعتقد به من مواعظ وعبر ومن سير

السلف فى ذلك الدين ما فيه أسوة حسنة وتنعش روحه بذكر رضاء الله اذا استقام وسخطه عليه اذا تهجم . عند ذلك يخشع منه القلب وتدمع العين ويستخذى الغضب وتخمد الشهوة والسامع لم يفهم من ذلك كله الا انه يرضي الله وأولياءه اذا أطاع ويسخطهم اذا عصى . ذلك هو المشهود من حال البشر غابرهم وحاضرهم ومنكره يسم نفسه انه ليس منهم . كم سمعنا ان عيونا بكت وزفرات صعدت وقلوبا خشعت لواعظ الدين . لكن هل سمعت بمثل ذلك بين يدى نصاح الادب وزعماء السياسة ؟ متى سمعنا ان طبقة من طبقات الناس يغلب الخير على اعمالهم لما فيه من المنفعة لعامتهم او خاصتهم وينفى الشر من بينهم لما يجلبه عليهم من مضار ومهالك ؟ هذا أمر لم يعهد فى سير البشر ولا ينطبق على فطرهم وانما قوام الملكات هو العقائد والتقاليد ولا قيام للامرين الا بالدين فعامل الدين هو أقوى العوامل فى اخلاق العامة بل والخاصة وسلطانه على نفوسهم أعلى من سلطان العقل الذي هو خاصة نوعهم

« قلنا ان منزلة النبوات من الاجتماع هى منزلة العقل من الشخص او منزلة العلم المنصوب على الطريق المسلوك بل نصعد الى مافوق ذلك ونقول منزلة السمع والبصر ، أليس من وظيفة الباصرة التمييز بين الحسن والقبيح من المناظر وبين الطريق السهلة السلوك والمعابر الوعرة ومع ذلك فقد يسىء البصير استعمال بصره فيتردي فى هاوية يهلك فيها وعيناه سليمتان تلمعان في وجهه . يقع ذلك لطيش او اهمال اوغفلة او لجاج وعناد . وقد يقوم من العقل والحس الف دليل على مضرة شىء ويعلم ذلك الباغي في رأيه ن اهل الشر ثم يخالف تلك الدلائل الظاهرة ويقتحم المكروه لقضاء شهوة اللجاج أونحوها ولكن وقوع هذه الامثال لاينقص من قدر الحس او العقل فيما خلق لاجله . كذلك الرسل عليهم السلام اعلام هداية نصبها الله على سبيل النجاة فمن اهتدى بها انتهى الى غايات السعادة ومنهم من غلط في فهمها او انحرف عن هديها فانكب فى مهاوي الشقاء فالدين هادوالنقص يعرض لمن دعوا الى الاهتداء به ولا يطعن نقصهم في كماله واشتداد حاجتهم اليه « يضل به كثيرا

ويهدي به كثيرا ومايضل به الا الفاسقين. ألا إن الدين مستقر السكينة ولجأ الطمأنينة به يرضي كل بما قسم له وبه يدأب عامل حتي يبلغ الغاية من عمله وبه تخضع النفوس الى أحكام السنن العامة في الكون وبه ينظر الانسان الي من فوقه في العلم والفضيلة والي من دونه في المال والجاه اتباعا لما وردت به الاوامر الالهية . الدين أشبه بالبواعث الفطرية الالهامية منه بالدواعي الاختيارية. الدين قوة من اعظم قوي البشر وانما قد يعرض عليها من العلل مايعرض لغيرها من القوى وكل ماوجه الى الدين من مثل الاعتراض الذي نحن بصدده فتبعته في اعناق القائمين عليه الناصبين انفسهم منصب الدعوة اليه أو المعروفين بأنهم حفظته ورعاة احكامه وما عليهم في ابلاغ القلوب بغيتها منه الا أن يهتدوا به ويرجعوا به الى اصوله الطاهرة الاولي ويضعوا عنه اوزار البدع فترجع اليه قوته وتظهر للاعمى حكمته

« ربما يقول قائل ان هذه المقابلة بين العقل والدين تميل الي رأي القائلين باهمال العقل بالمرة في قضايا الدين وبأن اساسه هو التسليم المحض وقطع الطريق علي أشعة البصيرة ان تنفذ الي فهم ماأودعه من معارف وأحكام . فنقول لو كان الأمر كما عساه أن يقال لما كان الدين علما يهتدى به وانما الذي سبق تقريره هو أن العقل وحده لا يستقل بالوصول الى مافيه سعادة الامم بدون مرشد الهي كما لا يستقل الحيوان في درك جميع المحسوسات بحاسة البصر وحدها بل لابد معها من السمع لادراك المسموعات مثلا كذلك الدين هو حاسة عامة لكشف مايشتبه على العقل من وسائل السعادات والعقل هو صاحب السلطان في معرفة تلك الحاسة وتصريفها فيما منحت لأجله والاذعان لما تكشف له من معتقدات وحدود اعمال .

كيف ينكر علي العقل حقه في ذلك وهو الذى ينظر في اداتها ليصل منها الي معرفتها وانها آتية من قبل الله وانما علي العقل بعد التصديق برسالة نبي أن يصدق بجميع ماجاء به وان لم يستطيع الوصول الى كنه بعضه والنفوذ الى حقيقته ولا يقضى عليه ذلك بقبول ماهو من باب المحال المؤدى الى مثل الجمع بين النقيضين أو بين الضدين في موضوع واحد

في آن واحد فان ذلك مما تنزه النبوات عن ان تأتي به فان جاء ما يوهم ظاهره ذلك في شيء من الوارد فيها وجب على العقل أن يعتقد أن الظاهر غير مراد وله الخيار بعد ذلك في التأويل، ستر شدا بيقية ما جاء على لسان من ورد المتشابه في كلامه وفي التفويض الى الله في علمه وفي سلفنا من الناجين من اخذ بالاول ومنهم من أخذ بالثاني» انتهى كلام الشيخ

(رأينا نحن في مسألة النبوة والانبياء)

هذه المسئلة أصعب مسائل الفلسفة الدينية وعلى حلها يتوقف ثبوت الاديان السماوية. فقد يسهل على الانسان في هذا العصر أن يستدل على وجود الخالق من النظر الى الكون، وعلى وجود الروح من عرض المباحث والتجارب النفسية التي قام بها اقطاب العلم الاوروبي في هذا العصر، ولكن لا يسهل عليه وجدان الادلة الكافية على مسئلة النبوة، ولا يهتدي الى الطريق المؤدية الى الاعتقاد بصحة الاديان التي توزعت النوع الانساني منذ ازمان بعيدة

ان كلامنا في هذه المسئله يجب ان يكون حالا لشبهات الملحدين المعاصرين، ومزيلا لشكوك المترددين من الاعتقاديين، فلا يؤاخذني رجال الدين ان آنسوا مني خلافا لمقرراتهم في بعض هذه المرامي فان شبهات الملحدين في هذه المسئلة لم تدع وجها من وجوه توهينها الا اتت عليه، فأصبح ايمان المؤمنين مهددا بالانحلال، وفي هذا ما فيه من الضرر العظيم، لا بالمؤمنين وحدهم، بل وبالعلم نفسه. واني أري انه مادام الاعتقاديون حريصين على ماورد في كتبهم الرسمية من أقوال اسلافهم وان لم يؤيده نص صريح من الوحي فان موقفهم بأزاء الملحدين لا يحتمل المقاومة، وينتهي امرهم كما انتهي في هذا العصر الى ضعف يعدو على كيانهم، ويضيع من وجودهم. ونحن اعتمادا على هذا سنسلك في هذا البحث مسلك النقد العلمي حتى يكون ما نكتبه حالا للشبهات الرائجة في هذا العصر

يقرأ الناقد المصري ما كتبه العلامة ابن حزم في حاجة العالم الى الانبياء، وما كتبه الاستاذ الشيخ محمد عبده وهو أحسن ما يستطيع ان يقوله الاعتقاديون في هذا الباب، فلا يقنعه ولا يحل له بعض ما لديه من الشبهات

اما شبهاته على قول ابن حزم فكثيرة فقد ذهب الى ان الانسان لم يهتد الى اصغر صناعة من صناعاته ، بل احقر لهجة من لهجاته، الا بوحي إلهي فحط بالانسان الى مادون دركة الحيوان الاعجم، وغمط قواه العاقلة حقها في هدايته وارشاده ، ومثل هذا الكلام لايقوى على النقد، ولا يحتمل المناقشة

واما شبهاته على قول الاستاذ الشيخ محمد عبده ، وهو اكمل وابلغ مايستطيع الاعتقاديون ان يحتجوا به ، فلا تزال قوية في نظره ، ولم تنفك غير محلولة ، فاذا لم يجد من القائمين على العقائد من يؤتيه بنظرية في موضوع النبوة والوحي تتماشى مع العقل والعلم اضطر الى ترك الدين والانضمام الى صفوف الملحدين مضطرا بحكم الدافع العلمي

ونحن في هذا المقام سنخول هذا الناقد العلمي الحق في الادلاء بجميع شبهاته مصغين الى مايقول بسعة صدر ، وشدة اهتمام حتى لايدع في جعبة شكوكه سهما من تلك السهام التي تصيبه في اعماق ضميره الا كشف عنه الغطاء وأرانا مكان وجوده ومبلغ تأثيره ، علما منا بأن تلك الشبهات لو بقيت كامنة في صدور الناس ساقتهم الى الالحاد بقوتها الذاتية، وبقيت عاملة في الخفاء عندهم عمل النار في الهشيم ، وذهب وعظ الواعظين ، وتنبيه المنبهين سدى كما هو حاصل اليوم ، وأخذ الدين في التضاؤل أمام العلم حتى ينتهي أمره الى التلاشي كما تدل عليه الدلائل اليوم

يمكن تلخيص ماقاله الاستاذ الشيخ محمد عبده في هذه الكلمات :

الانسان في حاجة الى النبوة بدافعين طبيعيين فيه:

(اولهما) اعتقاده ببقاء الروح بعد الموت في عالم وراء هذا العالم وحاجته لمعرفة ماعليه ذلك العالم من الشؤون وما أعد له فيه من الحالات ، فرحمه الخالق بأن أرسل اليه من يكشف له من امور ذلك العالم ماتطمئن نفسه اليه، ومن الحالات التي تنتظره فيه ما يجب التعويل عليه

(ثانيهما) قيام أمر الانسان على الاجتماع والتضامن بين افراده في الحياة ولم يفطر الانسان على مافطر عليه النحل او النمل مثلا من الاجتماع والتضامن بل ترك لتأثير عقله وفكره ، واستدلاله ونظره ، وليس

في صفاته هذه مايحمله على احكام روابط الاجتماع على بنى جنسه لغلبة الشهوات عليه، فكان لابد للناس من أنبياء يرسلهم الله بالاوامر الصادعة، والعظات الرادعة والمعجزات الباهرة ليحملهم كل ذلك على الاجتماع عليه، وعلى ماجاء به من امر الله فيتحابون بواسطته في الله، ويجتمعون على هديه وهداه

يقول الناقد العلمي: ليس في هذين العاملين ما يكفي لتعليل نظرية حاجة الانسان الى الانبياء لجريان السنن الاجتماعية على خلافها، ولتظاهر الاحوال الانسانية في مناقضتها، ولمخالفة بعض المسلمات التي استند عليها الاستاذ لمقررات العلم وكلامنا في نقدها ينحصر في الوجوه التالية:

(أولا) ليست الامم كلها تعتقد بخلود الروح فعلى الارض أمم منها من هي على الحالة الوحشية ومنها من هي من ارسخ الامم قدما في المدنية لاتقول بهذه العقيدة او تقول بها على نقص فيها، ولم يمنع هذا من ظهور النبوات او مايشابهها فيها فالامة البوذية وهي تعد بمئات الملايين لا تقول بخلود الشخصية (على رأي العلماء الاوربيين وان كان بعض الباحثين في دينهم ينقضه) فمرمى عقيدتها على ماقبل الخلاص من آلام الحياة ومنغصات هذا التكوين بالفناء وضياع كل حس بالوجود الذاتي. وقد دعا الى هذه العقيدة في الهند قبل نحو اكثر من ستة رجل منهم يقال له بوذا فلبى الناس سراعا والتفوا حوله وتحمسوا لدعوته تحمسا لاغاية بعده حتى كان احدهم يعذب بالحديد والنار ليصبأ عن دينه فيحتقر أنواع هذه الآلام في سبيل تمسكه بمذهبه. وانتشر هذا الدين في سنين معدودة بين الهنود والصينيين انتشاراً زعزع أركان الدين البرهمي القديم

بل هذه امامنا الديانة الموسوية لم يذكر كتابها (التوراة) الخلود بكلمة واحدة بل اقتصر في حث اليهود الى الطاعات على مكافأتهم بالوصول الى أرض الميعاد وهي فلسطين . ولم تنشأ هذه العقيدة فيهم الا بعد موت موسى عليه السلام كما يدل عليه ماسطر في كتاب التلمود . فلم يكن علة ظهور نبيهم هدايتهم الى مايتلمسونه من العلم بحال الحياة الآخرة ولا ارشادهم الى اتقان الاعمال التي توصلهم اليه

والامة المصرية القديمة وان كانت تعتقد بخلود الروح الا انها كانت تعتبر من حظ الذين تسعدهم العناية بتصبير أجسادهم بعد موتهم ، وما كان يحصل منهم على هذه الميزة الا الملوك وأفراد من سراة الامة ، وهذا كله لم يمنع تمسكهم بأنواع من الاعتقادات ، وضروب من العبادات بعثتهم لاقامة الهياكل وتعظيم الكهان

وفي الارض أمم تعتقد بالخلود ولكنها تقصره على ملوكها وكبرائها ومحاربيها ولم يمنعها ذلك من تمسكها ببعض العقائد وتحمسها لها تحمسا تسترخص معه في سبيل نصرتها حياتها النفيسة

فيتبين من هذه النظرة الاجتماعية لكل متأمل ان العقيدة بالخلود لا تصح ان تكون علة في بعث الانبياء ولا سببا موجبا لثوراتهم . فان الامم كما رأيت لا تستوى في الجرى وراء هذه العقيدة بل منها ما جعلت الخلاص من الآلام والنجاة من مقتضيات الوجود مرتبطا بالفناء البحت فجعلت عقيدة الفناء غايتها الدينية كبعض الفرق . فقول الاستاذ أتفقت كلمة البشر الا قليلا لا يقام لهم وزن على ان لنفس الانسان بقاء تحيا به بعد مفارقة البدن الخ لا ينطبق على مقررات العلم الاجتماعي ولا يصح ان يكون اساسا لارسال الانبياء الى الامم

(ثانيا) قد تقرر في علم الاجتماع البشرى ان السائق الوحيد لاجتماع الانسان على بني جنسه هو حاجة افراده الى التضامن في الحياة وان هذا الاجتماع والتضامن ليسا في حاجة الى عامل من الاعتقاد بالنبوات لظهور أثرهما في الامم التي لا تدين للانبياء اكثر من ظهوره في الامم التي تدين لهم . ونحن لا نذهب بالقارىء الى العهود البعيدة من تاريخ الامم غابرها وحاضرها وهذه امامنا الامم المتمدنة قد اقامت وحدتها على الوطنية المجردة عن كل صبغة دينية حتى ان منها ما حرم تدريس الدين في مدارسه الرسمية وانت ترى ان هذه النزعة فضلا عن انها لم توه روابطها ولم تحل حوافظها قد زادتها قوة على قوة وكل منها اليوم تناضل عن وحدتها مناضلة الحي عن وجوده لا تبالي في سبيلها بما تريق من مهجاتها وما تبذل من اموالها . وقد قام فيها التضامن والتكافل والترافد والعدل

على قواعد المصلحة المجردة عن كل غرض دنيء ، ولم يظهر على بنائها تضعضع ، ولا على أركانها تزعزع رغما عن جريها شوطا بعيدا في مناقضة الانبياء والقائمين على تعاليمهم ، فلو كان لاقوام للعدل والحياة الاجتماعية والتضامن في لوجود الا بالنبوات لكانت انحلت روابط هذه الامم ، وساورتها المحللات من حيث تدري ولاتدري ولسنا نشذ عن مقررات العلم لو قلنا ان هذه الامم ما اتجهت لهذه الوجهة الصالحة في الحياة ، ولا وصلت الى هذه الغايات البعيدة من العلم والعمران الا بترك تعاليمها الدينية ، والافتكاك من تقاليدها القديمة

(ثالثا) لو كانت النبوة كما يقول الاستاذ ضرورية لحياة النوع البشري ، ولا قوام لها الا بها فلم كثرت الانبياء في أمم وحرمتهم أمم أخرى ، كثروا في الامة الاسرائيلية مثلا وحرمتهم الامم الافريقية وكثير من الامم الاسيوية والاوربية ؟ ولم كان يمضي بين رسول ورسول مئات من السنين مع اقتضاء حالة الامم وخصوصا في أول عهدها بالحياة لمن يواليها النصيحة ، ويتابع لها الموعظة ولم انقطعت النبوة بعد خاتم النبيين مع ان اكثر الامم لاتزال على ما كانت عليه قبل آلاف من السنين ؟ ولم لم ترسل لمثل أمم الهوتانتوت والنيام نيام في افريقيا وأمثالهم في الاوقيانوسية وامريكا وآسيا أنبياء ونحن نرى هذه الملايين من المخلوقات في حاجة الى من يقوم اعوجاجهم ويهديهم الى سواء السبيل ؟ هل يعقل أن يحابي الخالق الحكيم بعض الامم فيرسل لها مئات الانبياء كالامة الاسرائيلية ويحرم من هذه النعمة بقية البشر ، أو يكتفي بأن يرسل اليهم واحدا أو اثنين في الوف من السنين ؟

يقول الاستاذ قد كان ارسال الانبياء لهداية الخلق الى الحق وان النبوة كانت حاجة من حاجات الاجتماع التي لامحيص عنها ونحن نقول قد نص القرآن على عكس هذا فذكر في آيات لا تحصى ان الله كان يرسل المرسلين للامم فتنفر منهم وتنكر عليهم تعاليمهم وتناصبهم الحرب فتارة تقتلهم ، وطورا ينتصر الله لانبيائه فيبيد تلك الامم ، حتى صرح بأن الامم كافة قد اتحدت كلمتها على مناقضة الانبياء والنفور منهم والتألب عليهم ، فكيف

فرق بين هذه التصريحات وبين قول الاستاذ أن النبوة حاجة من حاجات الامم وعماداً لا يمكن أن يقوم مقامه غيره في بناء هيئتها ؟

لو كانت النبوة حاجة من حاجات الحياة الانسانية لقبلت الامم دعوتها وعملت بما أتت به طائفة مختارة ولظهر أثرها عليها في أدوار وجودها ولكن الذي نص عليه الكتاب أن الامم والنبوات كانا على طرفي نقيض ولم يكن من أثر تلك النبوات الا هلاك تلك الامم التي وجدت فيها . فان اقوام نوح وابراهيم وصالح وهود وسواهم ممن لا يحصى لهم عدد قد كذبوا رسلهم فأبيدوا ودام الحال على هذا المنوال حتى جاء موسى فلقى من قومه ما لقى ووجد قومه من جراء عصيانهم له ما وجدوا حتى مات فانشقت عصاهم وتفرقوا في الارض . وتمسكوا بقشور من تعاليمهم الاولى . وجاء عيسى فدعا الناس فلم يجتمع عليه الا ضعفاؤهم ممن لا يغني عن نفسه شيئا ودام امرهم على هذه الحال حتى جاء الامبراطور كونستانتان بعد عيسى بثلاث مئة سنة واتفق انه كان مسيحيا فحمل الناس على التنصر بالقوة فحملوا الى عقيدتهم الجديدة عقائد اسلافهم في تفصيل ليس هذا موضعه ، وجاء خاتم النبيين فكان اوفر الانبياء حظا فدانت له امته بعد مجالدات عنيفة ، ومصادمات شديدة ، ولكنه لم ينتقل الى جوار ربه حتى ارتد العرب الى وثنيتهم ولولا ابو بكر انتدب لمحاربتهم واجبارهم على الاسلام لكان هذا الدين قاصراً على افراد من سكان مكة والمدينة ، ومع هذا كله عادت الجزيرة جاهليتها ولكن على شكل آخر ، فرجعت العصبية القبلية ، والمفاخرة بالانساب ، والفرقة والشقاق ، وما هي الا حياة الخلفاء الاربعة حتى انتقلت الخلافة الى ملك عضوض وطمت البدع ، ولم يبق من الاسلام الا اسمه ، ولا من القرآن الا رسمه ، وخضع الملك الاسلامي للناموس الاجتماعي العام الذي تخضع له كل امة فلم يكن تحولها على مقتضى دينها وشريعتها بل على مقتضى القوانين الاجتماعية التي تخضع لها كل هيئة انسانية . فانقسمت الى طوائف ، وجعلت تلك الطوائف همها مقاتلة بعضها بعضا . على نحو ما عليه سائر الطوائف فأين أثر الدين في كل هذا ؟ وما هي حكمة

ارسال الانبياء بعد ان ارينا ك مارأيت؟

هذه أقوال يستطيع أن يقولها ناقد علمي وهي التي تحيك في صدور النشء وتعمل فى الخفاء على سلبهم العقيدة واخراجهم الى متاهة الالحادوان لم يجرؤوا على الادلاء بها ، وقد رأينا أن نبرزها للناس من مكامنها حتي يقف عليها كل قائم علي الدين ويجتهد فى مكافحتها بالاسلحة التي تناسبها . واننا لو كنا رأينا ان ماكتبه الاستاذ الشيخ محمد عبده يحل هذه الشبه لاكتفينا بنقله كما هي عادتنا . ولكنه كما نرى لايقوى على النقد الجدى . ولا يزيل من النفوس بعض ماعلق بها من شبهات الماديين في هذا العصر

وبما ان مسألة النبوة من اهم اركان الفلسفة الدينية وعليها يقوم بناء الدين الاسلامى وكل دين سبقه فقد رأينا ان نبذل الوسع في رد هذه الشبهات ببيان الحقيقة الناصعة في هذه المسألة بذات الاسلحة العلمية وفى المجال الذى يقف فيه الناقد العلمى . ولا يؤاخذني أحد فيما اخالف فيه من سبقني في الكلام في هذا الصدد فالامر جلل والحقيقة اثمن من أن تضيع تعصبا لمذهب من مذاهب المتقدمين ، أو فى سبيل نظرية من نظرياتهم . ان الشبه في عصور آبائنا لم تبلغ الى مثل مابلغته فى هذا العصر ولم يكن العلم بأحوال الاجتماع شائعا بين الناس على ماهو عليه اليوم فكان قليل من العلم يكفي لرد شبهات الشاكين ولكنا اليوم حيال مشاهدات علمية مقررة وامور واقعيه ثابتة ، وازاء ملحدة قد حذقوا فنون الجدل ، ومرنوا على التلاعب بالآلة الحسية فاذا أردنا أن ننصر العقيدة نصراً صحيحا وجب علينا أن نقابل هؤلاء المناضلين بمثل علومهم وبذات أسلحتهم . ولو ادانا هذا النضال الى التسامح في بعض مقرراتنا الرسمية والا ضاعت العقيدة بالجمود على تلك المقررات التي لايقوم عليها دليل . بل التى قد قام الدليل العلمي على بطلانها . واذا كان الله هو الحق ، وليس لنا من حياتنا ومجهوداتنا الا ماتقوله ونعمله من حق ، فلا يجوز أن يقف فى سبيل وصولنا الى الحق حائل من التعصب القديم ولا مانع من الجمود على موروث

(رأينا في حلول هذه الشبه) هل النبوة حق ويمكن اثباتها علميا ؟ هل هي حاجة من حاجات الانسان الاجتماعية والروحية ؟ هل أمرها ينطبق على نواميس الاجتماع البشري ؟ وهل يمكن وجدان الناموس الاجتماعي الذى تسير بموجبه ، وقد ثبت لنا من النظر في احوال البشر ان شؤونهم مقودة بنواميس ثابتة لا تتغير تشبه النواميس العاملة في المواد الطبيعية ؟ وهل النبوة ان ثبتت ، لا تزال حاجة من حاجات البشر أم انقطعت بانقضاء دورها ؟ وهل هي شرط من شروط صحة الاعتقاد بحيث يدان في العالم الاخروي من لا يسلم بها ؟

لا مناص لنا فى هذا البحث من استقصاء الكلام في كل هذه المسائل فان الروح العصرية تتطلبها وأصبح الناس من أمرها شيعا متفرقين . وينتظر منا اعطاؤها القسط الواجب لها من الكلام في هذا الكتاب . فنقول والله المستعان :

﴿ هل النبوة حق ﴾
(ويمكن اثباتها علميا ؟)

نعم النبوة حق وقد تناهضت الادلة العلمية اليوم على اثباتها بعد شيوع المباحث النفسية في اوروبا حتى صار فى مكنة من يريد تمحيص مسائلها ان يقف على أدلتها بالبراهين المحسوسة . هذه جرأة منا في التعبير . ولكنها جرأة يسوغها مالدينا من المعلومات وان كان الشرقيون لا يزالون فى ناحية منها . لقد أكب علماء الغرب وأقطاب فلسفته على دراسة الروح ومظاهرها على الاسلوب العلمي فى النصف الاخير من القرن التاسع عشر واهتموا بها اهتماما لم يسبق له مثيل في مسئلة اخرى من المسائل العلمية وبلغ من عنايتهم بها ان انتدب لبحثها الوف من رجال العلم في كل امة من الامم المتمدنة ودونوا مباحثهم فى كتب لا تحصى كثرة وأسسوا لها المجلات الخاصة وأقاموا لها المجتمعات والنوادى حتى اجتمعوا لها في شكل مؤتمر مرات عديدة . هذا كله حصل ولا يزال يحصل في العالم المتمدن والشرقيون بما عهد فيهم من الاعراض عن دراسة المسائل العلمية لا يزالون في ناحية عنه وقد انقسموا فيما بينهم الى فئتين فئة تؤيد المذاهب القديمة فى الروح وأحوالها والنبوة وشؤنها ، وفئة ضربت الصفح عن كل ذلك ووقر في

روعها ان المدنية لا تعني غير الخروج عن كل عقيدة ، والانسلاخ من كل رابطة روحية، فأداهم ذلك الى أشنع حالات الاباحة ، ولم يرزقوا رجالا من ذوي الغيرة العلمية ينبهونهم الى ماهو حاصل في العالم الغربي، وما فتح الله به على الناس في آخريات القرن التاسع عشر ومقدمة القرن العشرين . وقد كنا أول من نبه على خطورة هذه المسائل منذ استطعنا ان نمسك القلم أي منذ نحو عشرين سنة بعد أن هدينا الى هذه المباحث في اثناء اشتغالنا بدراسة المسئلة الدينية ونحن في سن الدراسة التجهيزية فتجلى لنا منها ماتجلى وأخذنا منذ ذلك الحين نشيعها وندعو الناس الى تأملها منفردين لم ينصرنا في الالفات اليها كاتب بل كانت بعض المجلات تسأل عنها فتجيب بأن هذه حركة قام بها الغفل من الناس ، وجرى وراءها من يسهل عليه الانخداع للمشعوذين والدجاجلة . والله يعلم ان اصحاب تلك المجلات كانوا أجهل بما يفتون فيه من سائليهم، بل كان من الكتاب من كتب في الحط من شأنها ما كتب فجنى بذلك على الناس والعلم أكبر الجنايات وكان من أثر ذلك ان وقفت هذه المسئلة عند حد محدود من اذهان الشرقيين . ونحن قبل ان نخطو خطوة في الاعتماد على هذه المباحث ننقل للقراء بعض اقوال اقطاب العلم فيها

قال الفيلسوف جان فينو صاحب مجلة المجلات الفرنسية في مجلته :

« ان عدد أشياع المذهب الروحي قد بلغ الآن نحو عشرين مليونا . وهم اما علماء او اساتذة في الفنون او اطباء او مهندسون ، ولا يصح ان نتوهم ان هؤلاء الرجال يستخدمون التدليس لانجاح الخرافات ، ويصعب علينا أن نتهم هؤلاء العلماء بالسذاجة فان دقتهم الشديدة في التجارب العلمية شهر من أن تذكر » انتهى

وقال الاستاذ العلامة روسل ولاس الانجليزي وهو مكتشف مذهب النحول والارتقاء اي مذهب دارون مع دارون في وقت واحد ولكن ثبت ان دارون كان اطلع بعد اصدقائه على مذهبه قبل ان ينشر روسل ولاس مذهبه ببضع سنين فرأي العلماء من للعدل ان ينسب المذهب الى دارون ، يكفيك هذا ادلالا على

فضل الرجل وسعة اطلاعه ودقته في البحث قال في كتابه المسمى المعجزات والمذاهب الروحي في العصر الحاضر :

« لقد كنت ماديا صرفا مقتنعا بمذهبي تمام الاقتناع ولم يكن في ذهني ادنى محل للتصديق بحياة روحية ولا بوجود عامل في هذا الكون غير المادة وقوتها ولكني رأيت أن المشاهدات الحسية لاتغالب فانها قهرتني وأجبرتني على اعتبارها أشياء مثبتة قبل ان اعتقد نسبتها الى أرواح الموتى بمدة طويلة . ثم أخذت هذه المشاهدات مكانا من عقلي شيأ فشيأ ولم يكن ذلك بطريقة نظرية تصورية ولكن بتأثير المشاهدات التي كان يتلو بعضها بعضا بطريقة لا يمكن التخلص منها بوسيلة اخرى، أي بغير نسبتها الى العالم الروحاني » انتهى

ونحن نستطيع أن نأتي على آراء لايحصي لها عدد في هذا الصدد وكلها منسوبة للعلماء الاعلام امثال الاساتذة وليم كروكس واوليفر لودج وجارنى وميارس وورجان وشارل ريشيه وكاميل فلامريون وزولنر ولومبروزو ومايس وهار وهيزلوب وهودسون ن كل امة من الامم الاوروبية والامريكية فراجع ماكتبناه في كلمة (الله وروح) لتقف على بعض هذا. وما ترادنا لمثل هذه الاسانيد في هذه المناسبات الا ليذكر القارىء انا لا نعتمد في ابحاثنا على الاوهام ، ولا نستند على الاحلام . فان قال قائل بعد هذا ان جميع هؤلاء ممخرقون أو واهمون، وهم أقطاب العلم الطبيعي وأساتذة اساتذة اكبر رأس في هذا الشرق الفقير من العلم والعلماء ، فعلى الفلسفة والفلاسفة السلام

لنرجع الى ماكنا فيه . قلنا أن النبوة حق فقد ثبت علميا وبالتجارب الحسية ان الانسان مكون من جوهرين متميزين المادة والروح، فهو بجسده مرتبط بهذا العالم المادي المحسوس المحدود ، وبروحه متعلق بعالم روحاني ليس له حد ينتهي اليه ، ولا غاية يقف عندها ، فهو اذا كان بجثمانه لا يفترق عن الحيوان الأعجم في حاجته الى الغذاء والتزاوج لحفظ جنسه ونوعه الا انه بروحه يلحق بعالم عال لايدرك كنه رفعته وهم ، ولا يحوم حول جماله وجلاله خيال ، عالم متسلط على المادة يوجدها ويلاشيها ،

متصرف فيها يميتها ويحييها. هو العالم الالهي الحق الذى يعتبر مصدر ومرجع كل وجود غيره. وما هذه المادة الا مظهرا من مظاهره ومجلي من مجاليه، نسبتها اليه كنسبة الزبد الى البحر أو الاشعة الى النور

وقد ثبت بما لا يحصي من الأدلة العلمية أن الانسان لو أنيم نوما مغناطيسيا فانقطعت عنه خواطر الحس ظهر تعلق روحه بذلك العالم ظهوراً لا يحتاج معه لدليل. فتراه يري بغير عينيه ويسمع بغير أذنيه ويحس بغير مشاعره يري البعيدين عنه والقريبين منه على السواء ويسمع مايقال بجانبه وما يتكلم به على ابعاد شاسعة في أقطار متنائية يقرأ الخواطر التي تجيش بنفس المحيطين به ويطلع على هواجسهم فيصورها كأنه يشاهد جيشانها في صميم النفوس وأعماق الصدور. فما هذه الحال اذا كان الانسان مادة محضا، وجسدا صرفا؟ اذا كان الانسان لا يشعر الا بحواسه، ولا يدرك الا بمشاعره، فما هذا الاحساس بما هو بعيد عنه، والاخبار عما ليس بينه وبينه اتصال ؟

من هنا اقتنع العلماء بالحس علي ان للانسان روحا من غير جنس المادة وان هذه الروح لاحد لسلطانها، ولا غاية لارتقائها، وانها تتصل بأرواح متجردة عن المادة فتخبر عنها عن شهود وعيان، لا عن وهم وخيال. قال العلامة (بيو) الفرنسي في كتابه (المذكرات على المغناطيس الحيوي) :

« النوم المغناطيسي يثبت وجود الروح وخلوده ويبرهن علي امكان اختلاط أرواح متجردة عن المادة بأخري لم تزل مكسوة بها

وكتب الكاتب الكبير (جول بوا) في جريدة الطان الشهيرة في ٢١ يونيو سنة ١٩٠٥ يقول :

(ان ماحدث من أنواع الشفاء بواسطة التنويم المغناطيسي مما يكاد يعد معجزة، وما حصل من الفوائد بواسطة التلقين والاستهواء، وما يشاهد من مزايا الاعتقاد وثبات الارادة، والمحاورات المدهشة بواسطة التلباتيا (وهي التأثير على الغير والتأثر به من بعد، ومسائل الاحساس بالمستقبل وقراءة الافكار وظهور شبح الانسان في مكان بينما يكون هو في محله لم يتحرك. واستخراج القوة الحيوية من الجسد (وقد توصلوا الى

رسمها وقياسها) وما يراه الانسان من الغيوب في النوم والانباء بالامور المستقبلة والخوارق التي تتم على يد الوسطاء ودراويش الهنود وهي في اكثر الاحوال صحيحة صادقة كل هذا يتكون منه مجموع عظيم من حوادث ومشاهدات يستحيل على الانسان ان يزدريها وان لا يعبأ بها » انتهى

هذا العالم الروحاني الذي تجلى بجلاله وأبهته لعلماء العالم المتمدن أصبح نكرانه ضلة من أكبر الضلات وزلة لا تغتفر لفاعلها

هذا العالم الروحاني مصدر الخلق والايجاد، ومنشأ الحس والادراك لا يحدث في عالمنا المادي حادث صغر أو كبر، ولا يتحول فيه أمر جل أو حقر، الا كان متنزلا منه، وصادرا عنه

فاذا ثبت ان المنوم نوما مغناطيسيا يتصل به فيروى عنه معلومات تفوق معلومات البشر، وان الوسيط الذي يستخدم لتحضير الارواح يتصل منه بالارواح المجردة فتظهر للحاضرين بعد ان تكتسي بالمادة فيلمسونها أو يزنونها ويفحصونها وتأتيهم من الخوارق بما يشبه معجزات الانبياء وكرامات الاولياء، اذا ثبت هذا كله، وقد ثبت ثبوت المشاهدات العلمية على أيدي أقطاب العلم العصري، فهل يسوغ ان ينكر على افراد من النوع البشري ادعوا انهم انبياء ان يتصلوا بذلك العالم على قدر مراتبهم فيأتوا منه للناس بعلم ما لا يعلمون، وتفسير ما كانوا يجهلون، ويوحي اليه منه ما يرفع نفوسهم ويزيل شكوكهم، ويفيدهم في دنياهم وأخراهم ؟

من الظلم البين، بل من الجهل الفاضح ان ينكر الرجل العصري هذا الامر بعد ما ثبت بالمشاهدة في المجامع العلمية. وقد آب العلماء الماديون الى التصديق بالنبوات بعد ان كانوا ينكرونها ويحشرون الانبياء الى مصاف المصابين بالهستريا او المخادعين المرائين، وأصبحوا يعتقدون بأن الانبياء كانوا صادقين في ادعائهم الاتصال بالعالم الروحاني واستقاء معلوماتهم منه

بقي علينا أن نعرف ماهية الوحي ومراتب الاتصال بالعالم الروحاني وشؤون ذلك العالم الى غير ذلك من المعارف الضرورية لهذا البحث فنوجه نظر القارىء

الى ما كتبناه في كلمة وحي في حرف الواو فقد أسهبنا الكلام عليه وأتينا على آراء العلماء العصريين فيه

﴿ هل النبوة حاجة من حاجات ﴾
﴿ الانسان الاجتماعية والروحية ؟)

ان دراسة الاحوال الانسانية ، والنظر الي شؤون الاجتماع البشري يرينا ان النبوة ليست حاجة من حاجات الاجتماع ولكنها حاجة روحية بمعنى ان الاجتماع لا يتوقف عليها ولكن يتوقف عليها استقامة النفوس علي جادة الصواب في مراميها المعنوية

فالاجتماع تدعو اليه الضرورات الحيوية المادية ، وكفى بهذه الضرورات سائقا لتضام الافراد وتضامهم في سبيل الحياة وقد نص القرآن الكريم علي ان الله كان يرسل رسلا الى أمم كانت قائمة على أقوي الدعائم الاجتماعية وعلي جانب عظيم من المدنية المادية فكانت تكذيبهم وتستهزىء بهم فيحل بها النكال بسبب ذلك التكذيب . وفى الارض اليوم أمم رفضت تعاليم الانبياء وهى على أحسن مايكون من التضامن الاجتماعي . فالنبوة اذن حاجة روحية بحت لم تحرم منها أمة من أمم الارض مهما كانت درجتها من سلم الارتقاء

قد دلنا تاريخ البشرية على انه لم توجد أمة على سطح الارض مهما سفلت منزلتها في درجات العقل محرومة من أساطير دينية ولو على أحط الاشكال ، اللهم الا أفرادا من النوع البشرى يهيمون على وجوههم كالانعام لا يفترقون عن القردة الا في تجرد أجسادهم من الشعر يصادفهم السائحون في بعض الغابات على حال من الانحطاط العقلي ليس وراءها غاية ، ويظنهم من يراهم أنهم من بعض القردة . ومثل هؤلاء لا يصح أن يعتمد علي حالهم في نقض الحقيقة الاجتماعية التي قررناها من شيوع التدين بين جميع طوائف البشر بغير استثناء وفى كل درجات الاجتماع . فان هؤلاء الهمل أفراد لم يرقوا لدرجة الاجتماع ، ولم يصلوا من الحياة الانسانية لادراك شأن من شؤونها الجامعة

فالتدين عام في جميع الطوائف غابرها وحاضرها ، باديها وحاضرها . وهذا التدين فيها يتمثل للناظر فى عقائد رسمية ، وأصول ايمانية ، وتقاليد محترمة

وان كان منها ما ينبذه العقل ، وينفر منه الطبع ، الا انه على أى الاحوال كان دين قائم على أسس راسخة في عقول تلك الطوائف ، ومتسلط على أهوائها بحيث تسترخص فى الدفاع عنه أرواحها وتستلين في حياطته كل المراكب الخشنة ، فمن أين أتت هذه الامم تلك المقررات الدينية وكيف اجتمعت كلمتها عليها وبأية وسيلة رسخت اصولها فيها ؟

ان قلنا ان التدين فطرة في النفس البشرية وانها ساقت الامم الي تأليه قوى الطبيعة أو بعض مظاهرها ، فكيف ندرك اتفاق كل طائفة علي رسوم مقررة منها ، وأصول معينة ، وكيف توحدت وجوه العبادة لديها واجتمعت اهواؤها على أشكال محصورة من شؤونها ؟

لا يمكن تعليل هذه الوحدة فى الوجهة الا بأحد أمرين وهما اما قيام نبي فيهم دعاهم الى دين يناسب عقولهم وأحوالهم الاجتماعية فحرف القوم تعاليمه حتي أحالوها الى الوثنية ، وإما نبغ فرد من أفرادهم لا من طريق النبوة بل من طريق النظر والاستدلال ، والتحمس الديني على شكل من الاشكال ، فانفتق له حجاب الحس عن عالم الروح فنال منه طرفا اختلط عليه فيه شيء من الوهم فأتاهم منه بعلم يناسب أهواءهم ومداركهم فاتبعوه ، وتوحدت وجهتهم علي يديه وتلاهم علي قيادتهم الروحية خلفاؤه من بعده الى اليوم

لا مناص من التسليم بأحد هذين ، وكلاهما يدل على أن النبوة بمعناها العام حاجة من الحاجات الروحية للأمم

قلنا النبوة بمعناها العام ونريد بذلك أن تشمل كلمة النبوة ما يشتمله من الكهانة والعرافة فان كلا من هذه الوظائف تستند في اظهار وجودها على العالم الروحاني والفرق بينهما أن النبوة حالة سامية تتوارد بواسطتها المعارف على صاحبها من مصدر علوى ، وأن الكهانة والعرافة وغيرهما حالات لم تبلغ مبلغ النبوة فتختلط فيها المعارف العلوية علي أصحابها بكثير من الخرافات والاضاليل الشائعة

فالامم في درجات من أدوار تكونها لا تستطيع أن تتدين الا على الشكل الوثني كما يدل عليه شيوع الوثنية بين جميع الطوائف المنحطة فاذا اتفق ان ارسل الي مثل تلك الامم رسول يدعوها الى

التوحيد عارضت دعوته بكل قوة ونفرت منه أشد النفور ، وبالغت فى مناصبته العداء حتي قتلته أو استوجبت قارعة من القوارع التي تصيب الامم عند نشوء الشغب الديني فيها . وهذا فيما يظهر لنا السبب في عدم موالاة الله ارسال الانبياء للأمم المنحطة فهو يدعها حتى تنضج عقولها لقبول التوحيد الخالص ، أو تستدعي حالتها ان تبتلي بدعوة من تلك الدعوات فتبيد في سبيل معاصاتها كما حدث في أمم كثيرة

فبطلت من هذا البيان شبه كثيرة من شبه الناقد العلمي فيما يختص بارسال أنبياء كثيرين الي أمم وعدم ارسال نبي واحد الى غيرها ، او فى اطالة الفترة بين رسول ورسول ، أو في قصرهم على اقطار دون اقطار في أزمنة محدودة

وقد ثبت بهذا التحليل العلمى ان النبوة أو مايشاكلها حاجة من الحاجات الروحة للامم لتساوي الامم قاطبة إما في الخضوع الى نبي من الانبياء أو لكاهن من الكهان . فلو لم تكن النبوة أو مايشبهها حاجة روحية فلم كان هذا الاجماع من الأمم على التدين ، ولم كان إطباقها على الالتفاف حول نبي معلوم أو كاهن معين أو هيئة ثابتة تدعي الوساطة بين العالمين

فهل تسمح لنا المعلومات الحاضرة بوجدان الناموس الذى تسير على موجبه النبوات أو مايشبهها علي نحو كل الاحوال الاجتماعية ذات النواميس المقررة ؟

لامشاحة في أن اجماع جميع الطوائف البشرية على التدين وعلى الخضوع لزعيم ديني يدل علي وجود ارتباط تام بين ميول الانسان النفسية ، والمعلومات الروحية ، فهو بهذا الارتباط قد دل على انه لايقنعه من الحياة مجرد اشباع حاجاته الجسدية ، بل يميل لان يفتق الغلف المادية للوصول الى مايشعر بالانجذاب اليه من العوالم الغيبية

قد كان يصح ان يقال ان سبب هذا الانجذاب هو الجهل بأسرار الطبيعة ، والعماية عن نواميس الخليقة ، لولا أن الانسان قد أمعن في طريقه هذا حتي بعد بلوغ علم الطبيعة هذه الغاية البعيدة التى نحن عليها الآن ، بل لانبالغ أن قلنا أن ميل الانسان لفتق حجب المادة والنفوذ الي ماوراء الطبيعة لم يكن فى عصر من العصور مثل ماهو عليه في هذا

العصر من القوة وشدة الاندفاع ، فقد تصدى لهذا البحث الوف من العلماء كما ترى في كلمتي الله وروح وغيرهما من هذا الكتاب وقد تكللت هذه الجهود بالنجاح فصار لدينا من علم ما وراء المادة معارف مقررة ثابتة دون انكارها انكار الشمس في رائعة النهار

هذا الارتباط التام بين ميول الانسان وبين المعارف الروحية ، يقتضي وجود الموصل بينهما والقائم على كسر الحجب التي تفصلها ، ولا يكون هذا الا على يد نبي او مايشبهه من الوسطاء بين هذين العالمين

والذي يشاهد بالحس انه لم ينقطع المدد الالهي عن الناس من هذه الوجهة في زمن من الازمان فانه ازلم يكن في الامة نبي قام مقامه فيها تابع له على قدمه أو كاهن أو مايشبهه من الذين يجدّون وراء اختراق الحجب للوصول الى عالم الروح حتى وصل الامر الى عصرنا هذا وهو عصر العلم فتولى أمر فتح الطريق الى العالم الروحاني علماء الطبيعة أنفسهم كما قال الاستاذ (كارل دوبرل) « كانت العلوم الطبيعية أول من تجرأت على انكار الروح فعاقبها الله بأن كلفها هي أن تقيم على وجودها الادلة الطبيعية »

فالناس لم يحرموا في دور من أدوار وجودهم ولا في درجة من درجات مداركهم ممن يمدهم بحاجتهم من هذه الوجهة

اننا لا نستطيع ادراك الناموس الذي أرسلت الانبياء على موجبه كما لا نستطيع ادراك الناموس الذي تولى توليد القادة والفاتحين أمثال قامبيز وبختنصر والاسكندر وجنكيزخان وغيرهم ولا الفلاسفة الاولين كفيثاغورس وسقراط وافلاطون وارسطو ، ولكن هذا الجهل منا بناموسهم لا يمنع اعتقادنا بضرورة رسالاتهم لاحداث الانقلابات الاجتماعية التي لامناص منها لترقية النوع البشري وقد تأثرت البشرية برسالات الانبياء اكثر مما تأثرت بفتوحات الفاتحين . فقد أثارت تلك الفتوحات ثائرة الشعوب وأحدثت في أحوالها الاجتماعية انقلابات كان لها أثر في دفعها الى الامام دوائر معينة ، ولكن تلك الرسالات مع احداثها مثل هذه الانقلابات الاجتماعية من الوجهة المادية أحدثت انقلابات نفسية لا تقل عنها خطورة فلطفت

من خشونة تلك الشعوب وهذبت من أخلاقها وبعثتها الى باحات جديدة من الحياة الروحية ولا سبيل الى انكار هذه الآثار الخالدة الى اليوم

يقول الناقد العلمي في نقده ما الحكمة في ارسال الرسل ولم يلبث الناس على تعاليمهم الا سنين معدودة ثم ارتكسوا الى أسوأ مما كانوا عليه وصاروا شيعا؟ ويضرب الامثال بالاسرائيليين والمسيحيين والمسلمين في تنكبهم مناهج رسلهم وعدم تمسكهم من أصولهم الا بالاسم

نقول ان في هذا الاعتراض شططا عظيما فيجب رده الى حده المعقول ثم الاجابة عليه

نعم ان أتباع الانبياء لم يسيروا على مادعوا اليه الا مدة وجود أنبيائهم بين ظهرانيهم ثم نزعوا الى التبديل والتحريف من بعدهم . وجروا في هذا الدور الى مدى بعيد ، ولكنهم لا يزالون متمسكين منه بما يرفعهم عن حالتهم السابقة درجات كثيرة تصلح لان تأخذ بيدهم الى أدوار من الانقلابات جديدة، ولا أحيلك الا الى ما يشبه الحس من مقررات التاريخ

جاء موسى الى بني اسرائيل وهم في أسر فراعنة مصر على حال من الضعف والذل ليس بعدهما مرمى فأنقذهم من هذا النير الثقيل وأنشأ لهم دولة ذات بأس شديد صلحت لان تبقى ثابتة قوية مدة حياته وقرونا بعد وفاته ولا يزال لليهود شخصية بارزة الى اليوم

نعم ان أتباع موسى انحرفوا عن صراطه بعد موته ولكنهم حافظوا من تعاليمه على ما يجعل الفرق بينهم في حالتهم بعده وحالتهم قبله كبيرا جدا وهذا اكل ما يطلب من حوادث الانقلابات الاجتماعية فان الفطرة محال والقرون في أعمال الجماعات كالسنين في عمر الانسان

وجاء عيسى الى قومه فأخذ بأصوله منهم من أخذ، وجمد على ما كان عليه من جمد ، فلم يمض الا نحو ثلاثة قرون بعده حتى ظهر مذهبه يتلألأ في جو اوروبا تلألؤا يأخذ الابصار فحل الاعتراف بالروح وسلطان الروح ، والتخلق بالرحمة والحنان والعطف والزهد ، محل الالحاد والقسوة والفظاظة والانغماس في الترف وغيرهما من الاخلاق التي كانت سائدة في آخريات عهد الدولة الرومانية فانقلبت

الحال في هذا المدي القصير واخذت الاصول الجديدة تعمل عملها في تهيئة الاوروبيين الي الباحات الجديدة حتي تأدوا بعوامل الترقي الى ماوصلوا اليوم اليه لا باسم الدين بل باسم العلم

نعم ان اتباع عيسي انحرفوا عن طريقته في تمسكهم بمذهبه في كثير من الشئون ولكنهم ابقوا من اصوله على مايميزهم عما كانوا عليه ويكفي لادخالهم في الادوار التي تؤدي اليها تلك الاصول . ولا ينكر هذا الا متعنت

يقول قائل ان اقطاب النهضة الاوروبية يزعمون انهم ماانهضوا بالعلم الا بمنابذة الدين وما أسسوا ما أسسوه من أصول المدنية الا بقهر زعماء الدين ومن انف لفهم من افراد الامة

نقول كل ذلك كان ولكنه لايقدح في قولنا ان الدين المسيحي اوجد لاوروبا مزاجا جديدا لم يكن لها في عهد الرومان ولم يكن في اصول المدنية الرومانية مايؤدي اليه وقد انتهي امرها الي اخلاق تستحيل معها الحياة من البذخ والترف والاباحة فلولا ان اسعفها الله بالدين المسيحي في ذلك العهد بمافيه من ملطفات الحياة البهيمة لارتكست تلك المدنية الرومانية الي وحشية ليس لها مثيل

نعم ان المسيحية بما كان في اصولها من الزهد وترك الدنيا وبما جمد زعماؤها على درجة معينة من العلم الكنيسي قد وقفت باوروبا نحو الف سنة فلم تمد نحو الترقي قدما ولكنها كانت وقفة لابد منها لازالة ماتركته وثنية الرومانيين من صفات الوحشية ولازهاق عوامل الفناء التي كانت ولدتها تلك المدنية المادية ، فلما تهيأت النفوس هنالك للنهضة وجد العاملون عليها من القائمين على الدين مالم يجده من سبقهم من العاملين في أمة من أنواع الاضطهاد ، ولكنه كان اضطهادا أشبه بالوثني منه بالمسيحي لان الدين المسيحي ينهي عن الاكراه ولو في مصلحة الدين ويحرم استعمال القوة ولو للدفاع عن النفس. فلما نشأ العلم بشكوكه وعدائه للدين لم يأنف الاوربيون ان ينتسبوا للمسيحية مع ماأثاره العلم من الشبهات فيها اجلالا لاصول من التحاب والتعاطف والتراحم فيها لم تأت بأرفع منها فلسفة الى اليوم

ولما جاء محمد الى قومه كانوا على حال من الانحطاط والوثنية ليس وراءها

مدى فدعاهم الي دين لا نقول انه يصلح لمباراة غيره من الاديان بل لمباراة العلم العصري في جلالة قدره : أصول راقية للاخلاق ، ومبادىء قويمه للشريعة ، وحدود حكيمة للمعاملات ، ووجهة كريمة للحياة ، وغاية معقولة للعبادة ، وميدان مفتوح للترقي الصوري والمعنوي ، فقابله العرب بالنفور والمصادمة ، ثم انتهي امره بالغلبة . فخرج العرب به من حضيض انحطاطهم الي باحات من الحياة جديدة تؤديهم الى درجات من المدنية عالية ، فتم لهم في عشرات من السنين مالم يتم لسواهم في مئات منها فصارت لهم دولة نشرت سلطانها علي اكثر المعروف من الاقطار علي عهدها . ثم لما ضعف امر العرب قام مقامهم باسم الاسلام غيرهم من امم الفرس والديلم والكرد وسواهم ، وكان من أثر هذا كله ان تم في العالم الانساني انقلاب كبير باسم الاسلام ولا يزال هذا الدين عاملا كبيرا من عوامل الامم التي تدين به وان بعدت به عن اصوله ، وجردته من اكثر مزاياه

فلا يسوغ بعد هذا الناقد مهما استند علي مقررات العلم ان يزعم بان الانبياء لم يفيدوا المجموعة الانسانية بكثير شيء وهو يري بعينيه ان العالم قد توزعته عدة أديان وصبته في قالبها ، وقادته الى وجهاتها ، والفت الحالة التي عليها الناس اليوم

ربما قال الناقد هنا : أليس من شر المصائب على الناس ان توزعتهم هذه الاديان فجعلتهم أعداء الداء ، يتوارثون العداوة والبغضاء ؟ أليس كان الاولى بهم أن لا يكون لهم دين من ان يكونوا على هذه الحال ؟

نقول لم تكن الاديان سببا أوليا لهذا الخلاف فليس في اليهودية نص بأمر ببغض غير اليهود والحقد عليهم ، وطبيعة الديانة المسيحية تنافي التعصب الذميم ، وناهيك بدين يأمر الآخذ به أن يعطي قميصه لمن يسلبه رداءه ، وجوهر الاسلام يجافي التقاطع لاجل الدين وتاريخ نبيه وخلفائه ومن تبعهم باحسان مفعم بآيات في باب التسامح فالاديان لم تنشىء هذا التحاقد المشاهد بين الامم وانما هي الطبيعة البشرية حولت الاديان الى هواها فتحاقدت باسمها كما هو شأنها في جميع اهوائها ، ولو كانت هذه الامم غير متدينة لكان هذا التحاقد على أشد مما هو عليه

الآن ؟ ألا ترى بعينيك الامم ذات الدين الواحد بل المذهب الواحد تتصارع وتتناحر من أجل مصالحها المادية لاغير

يستخلص من كلامنا الذي مر ان النبوة آتت الامم التي حدثت فيها خيرا عظيما ، واحدثت بها في العالم انقلابات كانت ضرورية لبعثها الى باحات جديدة من الترقي، وان هذه الاديان لا تزال من أكبر العوامل المؤثرة فى تلك الامم وان بعدت بأهواء أهلها عن حقائقها الاولى ، وخرجت بأوهامهم عن حدودها النافعة

﴿هل النبوة لاتزال حاجة﴾
(من حاجات البشر)

الانسان مسوق الى التدين بفطرته، والتدين اذا أحلناه الى معناه الحقيقي وجدنا انه هو شعوره بأن وراء هذا العالم المادى المحسوس عالما أرقي منه يصرفه ويتولى تدبيره، وأنه هو مخلوق تلك القوة ومسخر لها لا يملك لنفسه نفعا ولا ضراً الا بها ، وان سعادته وشقاءه فى يد تلك القوة التي لا يدركها عقله

هذا الشعور الفطرى من الانسان دفعه لتلمس تلك القوة العالية في ذلك العالم الأقدس فاحتاج لمن يحدثه عنها ويدله على ما يرضيها وما لا يرضيها من الاعمال لتدر عليه اخلاف الرزق، وتهبه من القوة ما يتغلب بها على أعدائه ومزاحميه

فكان الانسان في جهله هذا مستعداً لقبول كل ما يقال له عن تلك القوة ، ومتطلعا لخبير من بنى جنسه يستطيع أن يعاونه على كشف حقيقتها ومعرفة شؤنها لا لأنه يتوق للخلود في حياة بعد هذه الحياة ، ولا لأنه يعشق جمال العالم الروحانى ، ولكن لأنه كان يتخيل من تغير أحوال الطبيعة حوله ان تلك القوة ترضي وتغضب ، وتهب وتمنع ، فاذا رضيت أشرقت الشمس، وهبت النسمات اللطيفة، وأخصبت الارض ، وبعدت الحيوانات المفترسة ، وان غضبت غامت السماء ، وزمجر الرعد، وسقطت الصواعق، وجرفت السيول أكواخ الناس، وأجدبت الارض ، وانتشرت الامراض، وأغارت الحيوانات الضارية. فكان يرى ان هذه القوة الخفية يجب أن يخضع لها ويتقرب اليها بالطاعات والأضحيات لترضى عنه وتحبوه مواهبها

هذا هو الذي كان يدفع الانسان في دوره الاول لطلب الدين وهو دافع شديد كان يضطره لتلقف كل ما يقال له من الخرافات حتي قبل في سبيله أن يضحي فلذة كبده لارضاء ذلك الاله المنتقم الجبار . ولا أدري أكان الخالق يرسل الى أمثال هذه الشعوب أنبياء مزودين بالعقائد الضرورية لهم ، أم كان يقوم فيهم مقام الانبياء كهنة يعلمونهم من خيالاتهم وأوهامهم ماكانوا يرون انه حق يجب الجرى عليه ؟ لاأستطيع أن أبت في هذه المسألة فان تاريخ الامم الاولية غامض ولم تقص علينا الكتب السماوية من أسماء الانبياء الا عدداً محصوراً ارسلوا لأمم معدودة

فلما ارتقى علم الانسان بعد الوف من السنين ، وتلطف شعوره بعض التلطف ارتقت عقائده ، وتلطفت تبعا لذلك وظهرت فيه ميول جديدة تقتضيها درجة الرغد الذى وصل اليه من حياته العملية ، فأخذ يتخيل الموت وآلامه ، والفناء وقبحه ، فتنبهت فيه عاطفة الخلود في عالم وراء هذا العالم ، فاندفع يتطلبه فراجت لديه الاساطير التى تمثل الحياة فى العالم الآخر ووقف فريق أنفسهم لاختراق الحجب التى تفصل بين العالمين بأفكارهم فتوصلوا الى درجات مختلفة من الفلسفة النفسية حتى أداهم هذا الميل الى الاهتداء الى التنويم المغناطيسى واستحضار أرواح الموتى كما دل على ذلك تاريخ المصريين القدماء والهنود والصينيين

ولكن مثل هذا الاندفاع الاعتقادى وراء مسئلة من المسائل الغيبية يؤدى عادة الى الخلط بين الحق والباطل فيها ، والباطل يجر وراءه جيشا من الاضاليل والاوهام فتسوء حالة الامم وتفسد نفوسها وقلوبها ، فكان الخالق يرسل اليها رسلا لاقامتها على الطريق القويم ولاعطائها من علم ماوراء المادة القدر الذى ينفعها ولا يصح أن تتجاوزه فكان يقف عند حدود ماجاؤا به أفراد ويعصيهم الباقون الي أن استعد النوع الانساني لقبول الرسالات الكبري كرسالة موسى وعيسي ومحمد صلوات الله عليهم فجاءوا يحملون للناس علما جما من عالم ما وراء المادة بل كانوا هم انفسهم في وقوفهم بين العالمين ، وتوسطهم بين عالم الشهادة وعالم الروح آيات للناظرين ، فكان موسى يضرب البحر

بعصاة فتظهر اليابسة ويكون كل فرق من الماء كالطود العظيم ، ويضرب الصخر بها فينفجر منها العيون الثرارة ، وتمكن بذلك من انقاذ قومه من فرعون مصر الطاغية على حال لم يسبق لها مثيل في تاريخ الشعوب المهضومة الحقوق. وكان عيسى يبرىء الاكمه والابرص ويحيي الموتى. وكان محمد في اتيانه بهذا القرآن المعجز واتصاله بجبريل واسترشاده بالوحي في كل صغيرة وكبيرة اكبر آية للمتوسمين

استقرت هذه الاديان الثلاثة الكبري في اقطارها المقدرة لها وثبتت أديان أخرى في أقطار أخرى لدى الامم وصلت من الرقي الى درجات صالحة ورضي أهل كل دين عن دينهم وان كان اكثرهم قد خرجوا عن مناهجها بما زادوا الي أصولها وما نقصوا منها علي مايوافق أهواءهم الا ان اولئك المرسلين قد عرف تاريخهم ودونت آثارهم واعتبروا بحق مؤسسين لمجموعات كبيرة من الاسرة البشرية العامة ودام الحال بين تلك المجموعات على مايكون بين الامم من التدافع حتي وصلوا الى القرن السادس عشر الميلادي الذي فيه ولد العلم ، ذلك العلم الذي يطلق اليوم ويراد به مجموع الثمرات العقلية التي حصلها الانسان بجهاده المتكرر للطبيعة وخلصتها العقول النقادة مما أضيف اليها من الاوهام . ذلك العلم الذي اوجد جميع المخترعات والمكتشفات الصناعية التي هي اليوم روح هذه المدنية الفتانة وقوامها ، فمال بعض المفكرين الى الزعم بان عصر النبوات قد انقضي وجاء العصر الذي ينظر الانسان لنفسه بنفسه فيتخذ لها العقائد التي يهواها غير متقيد بتعاليم نبي ولا رسول . وتطرف بعضهم فزعم ان اولئك الانبياء كانوا مدلسين ظهروا بما ظهروا به لامتلاك نواصي الامم في طفولة العقل البشري . فان قلت لهم ان اولئك الرسل كانوا يأتون الخوارق المحيرة للعقول هزوا اليك أكتافهم وقالوا أساطير الاولين ....

بهؤلاء القوم جاء دور الماديين فنشروا في العالم تعاليمهم الالحادية مستهزئين بكتب الوحي وزارين على رجالها فوجدت هذه الاقوال هوى من الافئدة وكان العلم الطبيعي في أثناء ذلك يؤتيهم بالملهيات

ويفتح لهم من الرقي الباحات بعد الباحات فطم الالحاد وانزوي الدينيون والقائلون بعالم الروح الي زاوية لا تسمع لهم فيها ركزاً فان تجاراً واحد منهم وصاح بالناس قائلا: أيها الاخوان لقد اهملتم عالم الروح. صاحوا به من جميع الجهات أرأيت ذلك العالم بعينيك ؟ أطفت ارجاءه برجليك ؟ ألمست أهله بيديك ؟

فان قال لهم ان ذلك العالم لا يدرك الا بالبصائر وليس هو من اختصاص المشاعر . صاحوا به لا تصدق الا ما ترى لان البصائر التي تذكرها قد تهم فتضل اصحابها كما اضلت اهل القرون الاولي . خذ ما تراه ودع شيأ سمعت به

في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل

ولكن عالم الروح ذلك العالم العلوي الحق الموجد لهذه المادة والمتصرف فيها لم يطل صبره على هذا التحدى الا ريثما يدرك الناس الشبهة فانبثق لهم من خلال المادة الصماء عارضا نفسه للتجارب الحسية وكان أول ظهوره في أوروبا علي يد الدكتور (مسمر) باسم المغناطيس الحيواني ثم في أمريكا باسم (استحضار الارواح) فثارت ثائرة الماديين واستنجدوا بالعلم المادى ، ذلك الغول الكبير، لتبديد هذه الاوهام. وماهى الا جولات حتي سجد العلم أمام ذلك المظهر الالهي الحق ، وأقر لنفسه بالنقص ، وشاع الامر في امريكا ومنها تعدي الى اوروبا ، وانتشر فيها انتشار النور في الظلام فابتدأت اليوم دولة الروح ، تلك الدولة الخالدة ، التي لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها لقيامها علي دعائم العلم العملى ، والفلسفة الحسية ، فاخذت العقول المتعطشة للنور الحق تستهدي باعلام الروح سالكة في طريق عروجها ، راقية في درجات صعودها ، سابحة في انوار قدسها ، مهتدية بمقررات العلم الطبيعى في أمور دنياها ، وباصول الفلسفة الروحانية في شؤون أخراها ، فهل انقضي دور الانبياء ولم يعد للناس بهم حاجة ؟

لا . ان هؤلاء الانبياء كانوا في ازمانهم اعلاما لعالم الروح ونجوما مشرقة يهتدي بهم السالك فيه وهم لا يزالون على ذلك الطريق يمر السالك بهم وهو يقطع من مراحله، ويعرج عليهم وهو يتنقل في منازله، حتى ان بحاثي اوروبا لم يكادوا يشيرون في هذه الطريق الروحانية حتي

صادفوا هذه النبوات فيه قائمة ، فآمنوا بها عن بينة وتم قول ربك : « كتب الله لأغلبن انا ورسلي ان الله قوي عزيز » فانظر كيف بدأ القرن التاسع عشر ملحدا مكذبا بالروح والخلود والانبياء والنبوات ، وكيف ختم مؤمنا بكل ذلك ايمانا مؤيدا بكل الوسائل العلمية

لااريد ان يفهم القارىء من هذا ان اقطاب العلم الاوروبي آمنوا بالانبياء ايمان الآخذين بأديانهم فأخذوا يعمرون البيع والكنائس والمساجد مشتغلين بتلاوة الكتب المقدسة تعبداً بألفاظها ، وتبركا بحروفها . لا . وانما اريد انهم اهتدوا في بحثهم الى فهم حقيقة الانبياء فاعترفوا بأنهم لم يكونوا مشعوذين ولا مدلسين وانما كانوا وسطاء بين العالم الروحاني والعالم المادي ، فرأوا (اى الانبياء) تلك المشاهد الروحانية ، واجتمعوا بأرواح مجردة ندبتهم الى ارشاد امهم الى طريق الحياة الصحيحة ، فصدعوا بأمرهم يدعون الى عقائدهم ، معززين دعاواهم بخوارق تحير الالباب ، وتدهش المشاعر على نحو الخوارق التي تحدث على ايدي الوسطاء اليوم

هذه هي عقيدة رجال العلم اليوم في الانبياء والنبوة ، ولا يدري الا الله الى اى درجة يصل بهم البحث في سبيل الايمان بهم ، فلندعهم في بحثهم دائبين ، فسيتأدون بحول الله الى معارف علوية لا يدركها خيال احدنا الآن ، ومن جد وجد ، وكل من سار على الدرب وصل

المتنبي هو ابو الطيب المتنبي الشاعر الاشهر . اسمه احمد بن الحسين ابن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الكندي الكوفي وانما سمي المتنبي لانه على ماقيل ادعى النبوة في بادية السماوة وتبعه خلق كثير من بني كلب وغيرهم فخرج اليه لؤلؤ امير حمص نائب الاخشيدية فأسره وتفرق اصحابه وحبسه طويلا ثم استتابه واطلقه وكان قد قرأ على البوادي كلاما ذكر انه قرآن أنزل عليه (فمنه) والنجم السيار ، والفلك الدوار ، والليل والنهار ، ان الكافر لفي اخطار ، امض على سنتك ، واقف اثر من كان قبلك من المرسلين ، فان الله قامع بك زيغ من ألحد في الدين وضل عن السبيل . (وكان) اذا جلس في مجلس سيف الدولة واخبروه عن هذا الكلام انكره وجحده ولما

اطلق من السجن التحق بالامير سيف الدوله بن حمدان ثم فارقه ودخل مصر سنة ست وأربعين وثلاثمائة ومدح كافور الاخشيدى وأنوجور بن الاخشيد وكان يقف بين يدى كافور وفي رجليه خفان وفي وسطه سيف ومنطقة ويركب بحاجبين من مماليكه وهما بالسيوف والمناطق ولما لم يرضه هجاه وفارقه ليلة عيد النحر سنة خمسين وثلثمائة فوجه كافور خلفه عدة رواحل فلم تلحقه وقصد بلاد فارس ومدح عضد الدولة بن بويه الديلمي فأجزل صلته ولما رجع من عنده عرض له فاتك بن أبي جهل الاسدى فى عدة من أصحابه فقاتله فقتل المتنبي وابنه محسد وغلامه مفلح بالقرب من النعمانية في موضع يقال له الصافية من الجانب الغربي من سواد بغداد . ويقال انه قال شيئا في عضد الدولة فدس عليه من قتله لانه لما وفد عليه وصله بثلاثة آلاف دينار وثلاثة أفراس مسرجة محلاة وثياب فاخرة . ثم دس عليه من سأله أين هذا العطاء من عطاء سيف الدولة . فقال هذا أجزل الا أنه عطاء متكلف ، وسيف الدولة كان يعطي طبعا . فغضب عضد الدولة فلما انصرف جهز عليه قوما من بني ضبة فقتلوه بعد ان قاتل قتالا شديداً ثم انهزم فقال له غلامه أين قولك :

الخيل والليل والبيداء تعرفنى
والطعن والضرب والقرطاس والقلم

فقال قتلني قتلك الله ثم قاتل فقتل. ويقال ان الخفراء جاؤه وطلبوا منه خمسين درهما ليسيروا معه فمنعه الشح والكبر فتقدموه فوقع له ماوقع . وكان قتله يوم الاربعاء لست بقين وقيل لثلاث بقين وقيل لليلتين بقين من شهر رمضان سنة أربع وخمسين وثلاثمائة ومولده كان فى سنة ثلاث مئة بالكوفة في محلة تسمى كنده وليس هو من كندة التي هى قبيلة بل هو جعفى . وقيل ان أباه كان سقاء بالكوفة وكان يلقب بعبدان ثم انتقل الى الشام بولده والى هذا أشار بعض الشعراء فى هجوه فقال :

أي فضل لشاعر يطلب الفضـ
ـل من الناس بكرة وعشيا
عاش حينا يبيع فى الكوفة الما
وحينا يبيع ماء المحيا

ولقد أولع بعض شعراء عصره بهجوه حسداً له على فضله وتمكنه ن

الملوك ومراعاة لتيهه وتكبره وممن أفحش في ذلك ابن حجاج

ولقد كان المتنبي من المكثرين من نقل اللغة والمطلعين على غريبها وحوشيها ولا يسأل عن شيء الا ويستشهد فيه بكلام العرب من النظم والنثر حتى قيل ان الشيخ ابا علي الفارسي قال له يوما كم لنا من الجموع على وزن فعل فقال المتنبي في الحال حجلي وظربى قال الشيخ أبو علي فطالعت كتب اللغة ثلاث ليال على ان اجد لهذين الجمعين ثالثا فلم اجد. وحسبك من يقول ابو علي في حقه هذه المقالة . وقال ابو الفتح بن جني قرأت ديوان المتنبي عليه فلما بلغت الى قوله في كافور الاخشيدي :

ألا ليت شعري هل اقول قصيدة
فلا أشتكي فيها ولا أتعتب
وبي ما يذود الشعر عني أقله
ولكن قلبي يا ابنة القوم قلب

قلت له يعز علي كون هذا الشعر في غير سيف الدولة . فقال حذرناه وانذرناه فما نفع ، ألست القائل فيه :

أخا الجود أعط الناس ما انت مالك
ولا تعطين الناس ما انا قائله

فهو الذى اعطاني بسوء تدبيره وقلة تمييزه . والناس في شعره على طبقات فمنهم من يرجحه على أبي تمام ومن بعده ومنهم من يرجح أبا تمام عليه . ورزق في شعره السعادة واعتنى العلماء بديوانه فشرحوه حتى قيل انه وجد له ما يزيد على الاربعين شرحا ومن شعره مما ليس في ديوانه بل رواه الشيخ تاج الدين الكندى بسند صحيح متصل به بيتان وهما :

أبعين مفتقر اليك نظرتني
فأهنتني وقذفتني من حالق
لست الملوم أنا الملوم لانني
أنزلت آمالي بغير الخالق

ولما قتل رثاه ابو القاسم المظفر بن علي الطبسي بقوله :

لا رعى الله سرب هذا الزمان
اذ دهانا في مثل ذاك الفسان
ما رأى الناس ثاني المتنبي
أي ثان يري لبكر الزمان
كان من نفسه الكبيرة في جيـ
ـش وفى كبرياء ذي سلطان
هو في شعره نبي ولكن
ظهرت معجزاته في المعاني

(ويحكى) أن المعتمد بن عباد اللخمى

صاحب قرطبة واشبيلية أنشد يوما في مجلسه بيت المتنبي الذي هو من جملة قصيدته المشهورة وهو :

اذا ظفرت منك العيون بنظرة
أثاب بها معيي المطي ورازمه

وجعل يردده استحسانا له وفي مجلسه أبو محمد عبد الجليل بن وهبون الاندلسي فأنشد ارتجالا :

لئن جاد شعر ابن الحسين فانما
تجيد العطايا والقها تفتح اللها
تنبأ عجبا بالقريض ولو درى
بأنك تروى شعره لتألها

وهذا مثل قديم قاله ابو سعيد القصار في جعفر بن يحيي

لابن يحيي ما آثر بلغت بي الى السها
جاد شعري بجوده والقها تفتح اللها

واللها بالضم العطايا وبالفتح جمع لهاة الحلق ، ورثاه ايضا محمد بن عبد الله الكاتب النصيبي بقصيدة يستجيش فيها عضد الدولة علي مدحضي قدمه ومريق دمه

المتنبي قصائد مطولة تعد الي اليوم من معجزات الشعر فنرى ان نلم بطرف منها لان الرجل في نظرنا أشعر شعراء العرب جاهلية واسلاما وانه قد انتهي اليه الابداع الشعرى فصار آيته الكبري وسيكونها مادامت اللغة العربية، فمن محاسن شعره قوله :

كم قتيل كما قتلت شهيد
بياض الطلى وورد الخدود
وعيون المها ولا كعيون
فتكت بالمتيم المعمود
درّ درُ الصباء أيام تجري
ر ذيولي بدار أثلة عردي
عمرك الله هل رأيت بدورا
طلعت في براقع وعقود
راميات بأسهم ريشها الهد
ب تشق القلوب قبل الجلود
يترشفن من فمي رشفات
هن فيه حلاوة التوحيد
كل خمصانة أرق من الخ
ر بقلب أقسي من الجلمود
ذات فرع كأنما ضرب العنـ
ـبر فيه بماء ورد وعود
حالك كالغداف جثل دجو
جي أثيث جعد بلا تجعيد
تحمل المسك عن غدائرها الري
ح وتفتر عن شنيب برود

openkandil.com

جمعت بين جسم احمد والسقـ
ـم وبين الجفون والتسهيد
هذه مهجتي لديك لحبي
فاقضي من عذابها أو فزيدي
أهل مابي من الضنى بطل حبـ
ـد بتصفيف طرة وبجيد
كل شيء من الدماء حرام
شربه لي اخلا ابنة العنقود
فاسقنيها فدي اليك نفسي
من غزال وطارفي وتليدي
شيب رأسي وذلني وتحولي
ودموعي على هواك شهودي
أي يوم سررتني بوصال
لم تر عني ثلاثة بصدود
مامقامي بأرض نخلة الا
كمقام المسيح بين اليهود
مفرشي صهوة الحصان ولكـ
ـن قميصي مسرودة من حديد
لأمة قاضة أضاة دلاص
أحكمت نسجها يدا داود
أين فضلي اذا قمت من الده
ـر بعيش معجل التنكيد
ضاق صدري وطال في طلب الرز
ق قيامي وقل عنه قعودي
أبداً أقطع البلاد ونجمي
في نحوس وهمتي في سعود
ولعلي مؤمل بعض ما أبـ
ـغ باللطف من عزيز حميد
لسريّ لباسه حشن القطـ
ـن ومرويّ مروّ لبس القرود
عش عزيزاً أو مت وأنت كريم
بين طعن القنا وخفق البنود
فرؤوس الرماح أذهب للغيـ
ـظ وأشفى لغل صدر الحقود
لا كاقد حييت غير حميد
واذا مت مت غير فقيد
فاطلب العز في لظى ودع الذ
ل ولو كان في جنان الخلود
يقتل العاجز الجبان وقديه
جز عن قطع مخنق المولود
ويوقى الفتى المحش وقد خو
ض في ماء لبة الصنديد
لا بقومي شرفت بل شرفوا بي
وبنفسي فخرت لا بجدودي
وبهم فخر كل من نطق الضا
دوعوذ الجاني وغوث الطريد
ان أكن معجباً فعجب عجيب
لم يجد فوق نفسه من مزيد

انا رب الندي ورب القوافي
وسهام العدي وغيظ الحسود
أنا في أمة تدار كها الله
غريب كصالح في ثمود

وقال ايضا في صباه يمدح أبا المنتصر شجاع بن محمد بن اوس بن معن بن الرضى الازدى :

أرق على أرق ومثلي يأرق
وجوى يزيد وعبرة تترقرق
جهد الصبابة ان تكون كما أرى
عين مسهدة وقلب يخفق
مالاح برق أو ترنم طائر
الا انثنيت ولي فؤاد شيق
جربت من نار الهوى ما تنطفي
نار الغضي وتكل عما يحرق
وعذلت أهل العشق حتي ذقته
فعجبت كيف يموت من لا يعشق
وعذرتهم وعرفت ذنبي انني
عيرتهم فلقيت منه ما لقوا
ابني ابينا نحن اهل منازل
ابدا غراب البين فيها ينعق
نبكي علي الدنيا وما من معشر
جمعتهم الدنيا ولم يتفرقوا
أين الأكاسرة الجبابرة الألي
كنزوا الكنوز فما بقين ولا بقوا
من كل من ضاق الفضاء بجيشه
حتي ثوي فحواه لحد ضيق
خرس اذا نودوا كأن لم يعلموا
ان الكلام لهم حلال مطلق
فالموت آت والنفوس نفائس
والمستعز بما لديه الاحمق
والمرء يأمل والحياة شهية
والشيب أوقر والشبيبة أزق
ولقد بكيت على الشباب ولمتي
مسودة ولماء وجهي رونق
حذراً عليه قبل يوم فراقه
حتي لكدت بماء جفني أشرق
أما بنو أوس بن معن بن الرضى
فأعز من تحدى اليه الاينق
كبرت حول ديارهم لما بدت
منها الشموس وليس فيها المشرق
وعجبت من ارض سحاب أكفهم
من فوقها وصخورها لا تورق
وتفوح من طيب الثناء روائح
لهم بكل مكانة تستنشق
مسكية النفحات الا انها
وحشية بسوام لا تعبق

أمريد مثل محمد في عصرنا
لا تبلنا بطلاب ما لا يلحق
لم يخلق الرحمن مثل محمد
أحدا وظني أنه لا يخلق
ياذا الذي يهب الكثير وعنده
أني عليه بأخذه أتصدق
أمطر على سحاب جودك ثروة
وانظر الى رحمة لا اغرق
كذب ابن فاعلة يقول بجهلة
مات الكرام وانت حي يرزق

وقال يمدح شجاع بن محمد الطائي المنجي

عزيز إسامن داؤه الحدق النجل
عياء به مات المحبون من قبل
فمن شاء فلينظر الي فمنظري
نذير الي من ظن أن الهوى سهل
وما هي الا لحظة بعد لحظة
اذا نزلت في قلبه رحل العقل
جري حبها مجري دمي في مفاصلي
فأصبح لي عن كل شغل بها شغل
سبتني بدل ذات حسن يزينها
تكحل عينيها وليس لها كحل
كأن لحاظ العين في فتكه بنا
رقيب تعدى او عدو له ذحل
ومن جسدي لم يترك السقم شعرة
فما فوقها الا وفيها له فعل
اذا عذلوا فيها أجبت بأنه
حبيبتي قلبي فؤادي هياجل
كأن رقيبا منك سد مسامعي
عن العذل حتى ليس يدخلها العذل
كأن سهاد الليل يعشق مقلتي
فبينهما في كل هجر لنا وصل
أحب التي في البدر منها مشابه
وأشكو الى من لا يصاب له شكل
الى واحد الدنيا الي ابن محمد
شجاع الذي لله ثم له الفضل
الى الثمر الحلو الذي طيب له
فروع وقحطان بن هود له أصل
الي سيد لو بشر الله أمة
بغيري نبي بشرتنا به الرسل
الى القابض الارواح والضيغم الذي
تحدث عن وقعاته الخيل والرجل
الى رب مال كلما شت شمله
تجمع في تشتيته العلى شمل
همام اذا ما فارق الغمد سيفه
وعاينتها لم تدر أيهما النصل
رأيت ابن ام الموت لو أن بأسه
فشا بين اهل الارض لانقطع النسل

على سابح موج المنايا بنحرة
غداة كأن النبل في صدره وبل
وكم عين قرن حدقت لنزاله
فلم تغض الا والسنان لها كحل
اذا قيل رفقا قال للحلم موضع
وحلم الفتى في غير موضعه جهل
ولولا تولي نفسه حمل حلمه
عن الارض لانهدت ونابها الحمل
تباعدت الآمال عن كل مقصد
وضاقت بها الا الى بابه السبل
ونادى الندي بالنائمين عن السري
فأسمعهم هبوا فقد هلك البخل
وحالت عطايا كفه دون وعده
فليس له انجاز وعد ولا مطل
فأقرب من تحديدها ردفائت
وأيسر من احصائها القطر والرمل
وما تنقم الايام ممن وجوهها
لاخمصه في كل نائبة نعل
وما عزه فيها مراد أراده
وان عز الا ان يكون له مثل
كفى نعلا فخرا بأنك منهم
ودهر لان امسيت من اهله اهل
وويل لنفس حاولت منك غرة
وطوبى لعين ساعة منك لاتخلو

فما بقصير شام برقك فاقة
ولا في بلاد أنت صيبها محل

وقال يمدح عبد الله بن يحيي البحتري:

بكيت يا ربع حتى كدت ابكيكا
وجدت بي وبدمعي في مغانيكا
فعم صباحا لقد هيجت لي طربا
واردد تحيتنا انا محيوكا
بأي حكم زمان صرت متخذا
رئم الفلا بدلا من رئم اهليكا
أيام فيك شموس ما انبعثن لنا
الا ابتعثن دما باللحظ مسفوكا
والعيش اخضر والاطلال مشرقة
كأن نور عبيد الله يعلوكا
نجا امرؤ يا ابن يحيي كنت بغيته
وخاب ركب ركاب لم يؤموكا
أحييت للشعراء الشعر فامتدحوا
جميع من مدحوهم بالذي فيكا
وعلموا الناس منك المجد واقتدروا
على دقيق المعاني من معانيكا
فكن كما شئت يا من لا شبيه له
وكيف شئت فما خلق يدانيكا
شكر العفاة لما أوليت اوجدلي
الى ندالك طريق العرف مسلوكا

وعظم قدرك في الآفاق أوهمني
اني بقلة ما اثنيت أهجوكا
كفى بأنك من قحطان في شرف
وان فخرت فكل من مواليكا
ولو نقصتُ كما قد زدتَ من كرم
على الوري لرأوني مثل شانيكا
لبى نداك لقد نادي فأسمعني
يفديك من رجل صحبي وأفديكا
مازلت تتبع ماتولى يدا بيد
حتي ظننت حياتي من أياديكا
فان تقلها فعادات عرفت بها
او لا فانك لا يسخو بلا فوكا

وقال يمدحه أيضا :

مُلث القطر أعطشها ربوعا
والا فاسقها السم النقيعا
أسائلها عن المتديريها
فلا تدرى ولا تدرى دموعا
لحاها الله الا ماضيبها
زمان اللهو والخود الشموعا
منعَّمة ممنعة رداح
يكلف لفظها الطير الوقوعا
كأن نقابها غيم رقيق
يغيب بمنعه البدر الطلوعا
أقول لها اكشفي ضرى وقولى
بأكثر من تدللها خضوعا
أخفت الله في احياء نفس
متى عصي الله بأن أطيعا
غدا بك كل خلو مستهاما
وأصبح كل مستور خليعا
أحبك او يقولوا جر نمل
ثبير أو ابن ابراهيم ربعا
بعيد الصوت منبث السرايا
يشيب ذكره الطفل الرضيعا
يغض الطرف من مكرودهي
كأن به وليس به خشوعا
اذا استعطيته ما في يديه
فقدك سألت عن سر مذيعا
قبولك منّه من عليه
وان لا يبتدى يره فظيعا
لهون المال افرشه اديما
وللتفريق يكره ان يضيعا
اذا ضرب الامير رقاب قوم
فما لكرامة مد النطوعا
فليس بواهب الا كثيرا
وليس بقاتل الا قريعا
وليس مؤدبا الا بنصل
كفى الصمصامة التعب الفظيعا

علي ليس يمنع من مجيء
مبارزه ويمنعه الرجوعا
علي قاتل البطل المفدى
ومبدله من الزرد النجيعا
اذا اعوج القنا في حامليه
وجاز الى ضلوعهم الضلوعا
ونالت ثأرها الاكبادمنه
فأولته اندقاقا أو صدوعا
فخد في ملتقى الخيلين عنه
وان كنت الخبعثنة الشجيعا
ان استجرأت رمقه بعيدا
فأنت استطعت شيأ ما استطيعا
وان ماربتني فاركب حصانا
ومثله تخر له صريعا
غمام ربما مطر انتقاما
فأقحط ودقه البلد المريعا
رآني بعد ماقطع المطايا
تيممه وقطعت القطوعا
فصير سيله بلدى غديرا
وصير خيره سنتي ربيعا
وجاودني بأن يعطي وأحوى
فأغرق نيله أخذي سريعا
امنسي السكون وحضرموتا
ووالدتي وكندة والسبيعا
قد استقصيت في سلب الاعادى
فردلهم من السلب الهجوعا
اذا مالم تسر جيشا اليهم
أسرت الى قلوبهم الهلوعا
رضوا بك كالرضى بالشيب قسرا
وقد وخط النواصي والفروعا
فلا عزل وأنت بلا سلاح
لحاظك ماتكون به منيعا
لو استبدلت ذهنا من حسام
قددت به المغافر والدروعا
لو استفرغت جهدك في قتال
أتيت به على الدنيا جميعا
ممموت بهمة تسمو فتسمو
فما تلفى بمرتبة قنوعا
وهبك سمحت حتى لاجواد
فكيف علوت حتى لارفيعا
وقال يمدح علي بن منصور الحاجب :
بأبي الشموس الجانحات غواربا
اللابسات من الحرير جلابيا
المنهبات عقولنا وقلوبنا
وجناتهن الناهبات الناهبا
الناعمات القاتلات المحييا
ت المبديات من الدلائل غرائبا

حاولن تفديتي وخفن مراقبا
فوضعن ايديهن فوق ترائبا
وبسمن عن برد خشيت اذيبه
من حر انفاسي فكنت الذائبا
ياحبذا المتكلمون وحبذا
واد لثمت به الغزالة كاعبا
كيف الرجاء من الخطوب تخلصا
من بعد ما أنشبن فى مخالبا
اوحدتني ووجدن حزنا واحدا
متناهيا فجعلنه لى صاحبا
ونصبنني غرض الرماة تصيبني
محن أحد من السيوف مضاربا
اظمتنى الدنيا فلما جئتها
مستسقيا مطرت علي مصائبا
وحبيت من خوص الركاب بأسود
من دارش فغدوت امشي راكبا
حال متى علم ابن منصور بها
جاء الزمان الى منها تائبا
ملك سنان قناته وبنانه
يتباريان دما وعرفا ساكبا
يستصغر الخطر الكبير لرفده
ويظن دجلة ليس تكفى شاربا
كرما فلو حدثته عن نفسه
بعظيم ماصنعت لظنك كاذبا
سل من شجاعته وزره مسالما
وحذار ثم حذار منه محاربا
فالموت تعرف بالصفات طباعه
لم تلق خلقا ذاق موتا آئبا
أن تلقه لاتلق الا جحفلا
أو قسطلا أو طاعنا أو ضاربا
أو هاربا أو طالبا أو راغبا
أو راهبا أوهالكا أو نادبا
واذا نظرت الي الجبال رأيتها
فوق السهول عواسلا وقواضبا
واذا نظرت الي السهول رأيتها
تحت الجبال فوارسا وجنائبا
وعجاجة ترك الحديد سوادها
زنجا تبسم او قذالا شائبا
فكأنما كسى النهار بهادجي
ليل واطلعت الرماح كواكبا
قدعسكرت معها الزيا عسكراً
وتكتبت فيها الرجال كتائبا
أسد فرائصها الاسود يقودها
اسد تصير له الاسود ثعالبا
في رتبة حجب الوري عن نيلها
وعلا فسموه علي الحاجبا
ودعوه من فرط السخاء مبذرا
ودعوه من غصب النفوس الغاصبا

هذا الذي افنى انتضار مواهبا
وعداه قتلا والزمان نجاربا
ومخيب العذال مما أملوا
منه وليس يرد كفا خائبا
هذا الذي ابصرت منه حاضرا
مثل الذي ابصرت منه غائبا
كالبدر من حيث التفت رأيته
يهدى الى عينيك نورا ثاقبا
كالبحر يقذف للقريب جواهرا
جوداً ويبعث للبعيد سحائبا
كالشمس في كبد السما. وضوءها
يعشي البلاد مشارقا ومغاربا
امهجن الكرماء والمزرى بهم
وتروك كل كريم قوم عاتبا
شادوا مناقبهم وشدت مناقبا
وجدت مناقبهم بهن مثالبا
لبيك غيظ الحاسدين الراتبا
انا لنخبر من يديك عجائبا
تدبير ذى حنك يفكر في غد
وهجوم غر لايخاف عواقبا
وعطاء مال لو عداه طالب
انفقته في ان تلاقي طالبا
خذ من ثنائى عليك مااستطيعه
لاتلزمني في الثناء الواجبا
فلقد شهدت لما فعلت ودونه
مايدهش الملك الحفيظ الكاتبا

وخرج بدر بن عمار الى أسد فهرب الاسد منه وكان قد خرج قبله لى أسد آخر فهاجه عن بقره افترسها بعدأن شبع وثقل فوثب الى كفل فرسه فأعجله عن استلال سيفه فضربه بالسوط ودار به الجيش فقال ابو الطيب:

في الخد ان عزم الخليط رحيلا
مطر تزيد به الخدود محولا
يانظرة نفت الرقاد وغادرت
في حد قلبي ماحييت فلولا
كانت من الكحلاء سؤلى انما
اهلى تمثل في فؤادي سولا
اجد الجفاء على سواك مروءة
والصبر الا في نراك جميلا
وأري تدلك الكثير محببا
وأرى قليل تدلل مملولا
حدق الحسان من الغواني عجن لى
يوم الفراق صبابة وغليلا
حدق يذم من القواتل غيرها
بدر بن عمار بن اسماعيلا
الفارج الكرب العظام بمثلها
والتارك الملك العزيز ذليلا

محك اذا مطل الغريم بدينه
جعل الحسام بما أراد كفيلا
نطق اذا حط الكلام لثامه
أعطي بمنطقه القلوب عقولا
اعدي الزمان سخاؤه فسخا به
ولقد يكون به الزمان بخيلا
وكأن برقا في متون غمامة
هندية في كفه مسلولا
ومحل قائمة يسيل مواهبا
لو كن سيلا ماو بدن مسيلا
رقت مضاربه فهن كأنما
يبدين من عشق الرقاب نحولا
أصفر الليث الهزبر بسوطه
لمن ادخرت الصارم المصقولا
وقعت على الاردن منه بلية
نضدت بها هام الرقاق تلولا
ورد اذا ورد البحيرة شاربا
ورد الفرات زئيره والنيلا
متخضب بدم الفوارس لابس
في غيله من لبدتيه غيلا
ما قوبلت عيناه الا ظنتا
تحت الدجي نار الفريق حلولا
في وحدة الرهبان الا أنه
لا يعرف التحريم والتحليلا
يطأ الثرى مترفقا من تيهه
فكأنه آس يجس عليلا
ورد عفرته الى يافوخه
حتى تصير لرأسه اكليلا
وتظنه مما يزجر نفسه
عنها لشدة غيظه مشغولا
قصرت مخافته الخطي فكأنما
ركب الكمي جواده مشكولا
ألقى فريسته وبر بر دونها
وقربت قربا خاله تطفيلا
فتشابه الخلقان في أقدامه
وتخالفا في ذلك المأكولا
أسد يرى عضويه فيك كليهما
متنا أزل وساعدا مفتولا
في سرج ظامئة الفصوص طمرة
يأبي تفردها لها التمثيلا
نبالة الطلبات لولا أنها
تعطي مكان لجامها مانيلا
تندى سوالفها اذا استحضرتها
ويظن عقد عنانها محلولا
مازال يجمع نفسه في زوره
حتى حسبت العرض منه الطولا
ويدق بالصدر الحجار كأنه
يبغي الى ما في الحضيض سبيلا

وكأنه غرته عين قادنى
لا يبصر الخطب الجليل جليلا
انف الكريم من الدنيئة تاركه
في عينه العدد الكثير قليلا
والعار مضاض وليس مخائف
من حتفه من خاف عما قيلا
سبق التقاءكه وثبة هاجم
لو لم تصادمه لجازك ميلا
خذلته قوته وقد كافحته
فاستنصر التسليم والتجديلا
قبضت منيته يديه وعنقه
فكأنما صادفته مغلولا
سمع ابن عمته به وبحاله
فنجا يهرول امس منك مهولا
وأمر مما فر منه فراره
وكفتله ان لا يموت قتيلا
تف الذى اتخذ الجراءة خلة
وعظ الذى اتخذ الفرار خليلا
لو كان علمك بالاله مقسما
فى الناس ما بعث الاله رسولا
لو كان لفظك فيهم ما انزل الا
فرقان والتوراة والانجيلا
لو كان ما نعطيهم من قبل ان
تعطيهم لم يعرفوا التأميلا
فلقد عرفت وما عرفت حقيقة
ولقد جهلت وما جهلت خمولا
نطقت بسؤددك الحمام تغنيا
وبما تجشمها الجياد صهيلا
ماكل من طلب المعالى نافذا
فيها ولا كل الرجال فحولا

وسار بدر الى الساحل ولم يسر أبو الطيب معه ثم بلغه ان ابن كروس الاعور كتب الى بدر يقول له ان ابا الطيب انما تخلف عنك رغبة بنفسه عن المسير معك . ولما عاد بدر الي طبرية ضربت له قباب عليها امثلة من تصاوير فقال ابو الطيب:

الحب ما منع الكلام الالسنا
وألذ شكوي عاشق ما أعلنا
ليت الحبيب الهاجري هجر الكرى
من غير جرم واصلى صلة الضني
بتنا ولو حليتنا لم تدر ما
الوانا مما استعفن تلونا
وتوقدت انفاسنا حتي لقد
اشفقت تحترق العواذل بيننا
افدي المودعة التي اتبعتها
نظرا فرادى بين زفرات ثنا
انكرت طارقة الحوادث مرة
ثم اعترفت بها فصارت ديدنا

وقطعت في الدنيا الفلا وركائبي
فيها ووقتي الضحي والموهنا
فوقفت منها حيث أوقفني الندي
وبلغت من بدر بن عمار المني
لابي الحسين جدا يضيق وعاؤه
عنه ولو كان الوعاء الازمنا
وشجاعة أغناه عنها ذكرها
ونهي الجبان حديثها ان يجبنا
نيطت حمائله بعاتق محرب
ماكر قطوهل بكر وما انثني
فكأنه والطعن من قدامه
متخوف من خلفه ان يطعنا
نفت التوهم عنه حدة ذهنه
فقضي علي غيب الامور تيقنا
يتفزع الجبار من بتشاته
فيظل في خلواته متكفنا
أمضي ارادته فسوف له قد
واستقرب الاقصى فتم له هنا
يجد الحديد على بضاضة جلده
ثوبا أخف من الحرير وألينا
وأمر من فقد الاحبة عنده
فقد السيوف الفاقدات الاجفنا
لا يستكن الرعب بين ضلوعه
يوما ولا الاحسان ان لا يحسنا
مستنبط من علمه مافي غد
فكأن ماسيكون فيه دونا
تتقاصر الافهام عن ادراكه
مثل الذى الافلاك فيه والدنى
من ليس من قتلاه من طلقائه
من ليس ممن دان ممن حينا
لما قفلت من السواحل نحونا
قفلت اليها وحشة من عندنا
أرج الطريق فما مررت بموضع
الا أقام به الشذا مستوطنا
لو تعقل الشجر التي قابلتها
مدت محيية اليك الاغصنا
سلكت تماثيل القباب الجن من
شوق بها فأدون فيك الاعينا
طربت مراكبنا فخلنا انها
لولا حيادعاقها رقصت بنا
اقبلت تبسم والجياد عوابس
يخبين بالحلق المضاعف والقنا
عقدت سنابكها عليه عثيرا
لو تبتغي عنقا عليه لامكنا
والامر امرك والقلوب خوافق
في موقف بين المنية والمني
فعجبت حتي ماعجبت من الظبي
ورأيت حتي مارأيت من السنى

اني اراك من المكارم عسكرا
في عسكر ومن المعالى معدنا
فطن الفؤاد لما أتيت علي النوي
ولما تركت مخافة ان تفطنا
أضحي فراقك لى عليه عقوبة
ليس الذى قاسيت منه هينا
فاغفر فدي لك واحبنى من بعدها
لتخصني بعطية منه أنا
وانه المشير عليك فيّ بضلة
فالحر ممتحن بأولاد الزنى
واذا الفتى طرح الكلام معرضا
فى مجلس اخذ الكلام الذعني
ومكايد السفهاء واقعة بهم
وعداوة الشعراء بئس المقتني
لعنت قارنة الثيم فانها
ضيف يجر من الندامة ضيفنا
غضب الحسود اذا لقيتك راضيا
رزء أخف علي من ان يوزنا
امسى الذي امسى بربك كافرا
من غيرنا معنا بفضلك مؤمنا
خلت البلاد من الغزالة ليلها
فأعاضها الله كى لا تحزنا
وقال يمدح أبا عبد الله محمد
ابن عبد الله بن محمد الخطيب الخصبي وهو يومئذ يتقلد القضاء بانطاكية :
أفاضل الناس أغراض لدى الزمن
يخلو من الهم اخلاهم من الفطن
وانا نحن فى جيل سواسية
شر على الحر من سقم على بدن
حولى بكل مكان منهم خلق
تخطى اذا جئت في استفهامها بن
لا اقترى بلدا الا على غرر
ولا أمر بخلق غير مضطغن
ولا أعاشر من أملاكهم ملكا
الا أحق بضرب الرأس من وثن
انى لأعذرهم مما أعنفهم
حتى اعنف نفسى فيهم وأنى
فقر الجهول بلا قلب الى ادب
فقر الحمار بلا رأس الي رسن
ومدقعين بسبروت صحبتهم
عارين من حلل كاسين من درن
خُرّاب بادية غرثى بطونهم
مكن الضباب لهم زاد بلا ثمن
يستخبرون فلا اعطيهم خبرى
وما يطيش لهم سهم من الظنن
وخلة في جليس ألتقيه بها
كما رى اننا مثلان في الوهن

وكلمة في طريق خفت اعربها
فيهتدى لى فلم أقدر على اللحن
قد هون الصبر عندي كل نازلة
ولين العزم حد المركب الخشن
كم مخاص وعلى في خوض مهلكة
وقتلة قرنت بالذم فى الجبن
لا يعجبن مضيما حسن بزته
وهل تروق دفينا جوده الكفن
لله حال أرجيها وتخلفنى
وأقتضي كونها دهرى ويطلنى
مدحت قوما وان عشنا نظمت لهم
قصائداً من اناث الخيل والحصن
تحت العجاج قوافيها مضمرة
اذا تنوشدن لم يدخلن في اذن
فلا أحارب مدفوعا الى جدر
ولا أصالح مغروراً على دخن
مخيم الجمع بالبيداء يصهره
حر الهواجر فى صم من الفتن
ألقى الكرام الالى بادوا مكارمهم
على الخصيبي عند الفرض والسنن
فهن فى الحجر منه كلما عرضت
له اليتامى بدا بالمجد والمنن
قاض اذا التبس الامران عن له
رأي يخاص بين الماء واللبن
غض الشباب بعيد فجر ليلته
مجانب العين للفحشاء والوسن
شرابه النشج لا للرى يطلبه
وطعمه لقوام الجسم لا السمن
ألقائل الصدق فيه مايضربه
والواحد الحالتين السر واللعن
الفاصل الحكم هى الاولون به
والمظهر الحق للساعي على الذهن
أفعاله نسب لو لم يقل معها
جدى الخصيب عرفنا العرق بالغصن
العارض الهتن ابن العارض الهتن ا
بن العارض الهتن ابن العارض الهتن
قد صيرت اول الدنيا وآخرها
آباؤه من مغار العلم فى قرن
كأنهم ولدوا من قبل أن ولدوا
أو كان فهمهوم أيام لم يكن
الخاطرين على اعدائهم أبداً
من المحامد في أرقي من الجنن
للناظرين الى اقباله فرح
يزيل مايجباه القوم من غضن
كأن مال ابن عبد الله مغترف
من راحتيه بأرض الروم واليمن
لم نفتقد بك من مزن سوى لثق
ولا من البحر غير الريح والسفن

ولا من الليث الاقبح منظره
ومن سواه سوى ماليس بالحسن
منذ احتبيت بانطاكية اعتدلت
حتي كأن ذوى الاوتار في هدن
ومذ مررت علي أطوادها قرعت
من السجود فلا نبت علي القنن
اخلت مواهبك الاسواق من صنع
أغنى نداك عن الاعمال والمهن
ذا جود من ليس من دهر علي ثقة
وزهد من ليس من دنيا في وطن
وهذه همة لم يؤتها بشر
وذا اقتدار لسان ليس في المتن
فمر وأومى تطع قدست من جبل
تبارك الله مجري الروح في حضن

وقال يمدح علي بن احمد بن عامر الانطاكي :

أطاعن خيلا من فوارسها الدهر
وحيدا وماقولى كذا ومعي الصبر
واشجع مني كل يوم سلامتي
وما ثبتت الا وفي نفسها امر
تمرست بالآفات حتي تركتها
تقول أمات الموت أم ذعر الذعر
وأقدمت اقدام الاتي كأن لى
سوى مهجتي او كان لي عندها وتر
ذر النفس تأخذ وسعها قبل بينها
فمفترق جاران دارهما الصبر
ولا تحسبن المجد زقا وقينة
فما المجد الا السيف والفتكة البكر

ومنها :

وتركك في الدنيا دويا كأنما
تداول سمع المرء أنمله العشر
اذا الفضل لم يرفعك عن شكر ناقص
علي هبة فالفضل فيمن له الشكر
ومن ينفق الساعات في جمع ماله
مخافة فقر فالذى فعل الفقر
علىّ لأهل الجور كل طمرة
عليها غلام ملء جبزومه غمر
يدبر بأطراف الرماح عليهم
كؤوس المنايا حيث لا تشتهي الخمر
وكم من جبال جبت تشهد انني ال
جبال وبحر شاهد انى البحر
وخرق مكان العيس منه مكاننا
من العيس فيه واسط الكور والظهر
يخدن بنا في جوزه وكأننا
علي كرة أو أرضه معنا سفر
ويوم وصلناه بليل كأنما
علي أفقه من برقه حلل حمر

وليل وصلناه بيوم كأنما
على متنه من دجنه حلل خضر
وغيث ظننا تحته ان عامرا
علا لم يمت او في السحاب له قبر
او ابن ابنه الباقي علي بن احمد
يجود به لو لم أجز ويدي صفر
وان سحابا جوده مثل جوده
سحاب علي كل السحاب له فخر
فتى لا يضم القلب هيمات قلبه
ولو ضمها قلب لما ضمه صدر
ولا ينفع الامكان الا سخاؤه
وهل نافع لولا الاكف القنا السمر
قران تلاقي الصلت فيه وعامر
كما يتلاقي الهندواني والنصر
فجاء به صلت الجبين معظما
ترى الناس قلا حوله وهم كثر
مفدى بآباء الرجال سميذعا
هو الكرم المد الذى ماله جزر
ومازلت حتي قادني الشوق نحوه
يسايرني في كل ركب له ذكر
واستكبر الاخبار قبل لقائه
فلما التقينا صغر الخبر الخبر
اليك طعنا في مدى كل صفصف
بكل وآة كل ما لقيت نحر
اذا رمت من لسعة مرحت لها
كأن نوالا صر في جلده النبر
فجثناك دون الشمس والبدر في النوي
ودونك في احوالك الشمس والبدر
كأنك برد الماء لا عيش دونه
ولو كنت برد الماء لم يكن العسر
دعاني اليك العلم والحلم والحجى
وهذا الكلام النظم والنائل النثر
وما قلت من شعر تكاد بيوته
اذا كتبت يبيض من نورها الحبر
كأن المعاني في فصاحة لفظها
نجوم الثريا او خلائق الزهر

ومنها :

واني رأيت الضر احسن منظرا
واهون من مرأى صغير به كبر
لساني وعيني والفؤاد وهمتي
اودالوائي ذا اسمها منك والشطر
وما انا وحدي قلت ذا الشعر كله
ولكن لشعري فيك من نفسه شعر
وماذا الذى فيه من الحسن رونقا
ولكن بدا في وجهه نحوك البشر
واني ولو نلت السماء لعالم
بأني ما نلت الذى يوجب القدر

أزالت بك الايام عتبي كأنما
بنوها لها ذنب وأنت لها عذر

وقال يمدح سيف الدولة ايضا :

لعينيك مايلقى الفؤاد وما لقى
وللحب مالم يبق مني وما بقى
وما كنت ممن يدخل العشق قلبه
ولكن من يبصر جفونك يعشق
وبين الرضي والسخط والقرب والنوى
مجال لدمع المقلة المترقرق
وأحلى الهوى ماشك في الوصل ربه
وفي الهجر فهو الدهر يرجو ويتقى
وغضبي من الادلال سكرى من الصبى
شفعت اليها من شبابي بريق
واشنب معسول الثنيات واضح
سترت فمي عنه فقبل مفرقي
واجياد غزلان كجيدك زرتني
فلم أتبين عاطلا من مطوق
وماكل من يهوي يعف اذا خلا
عفافي ويرضي الحب والخيل تلتقى
سقى الله أيام الصبي مايسرها
ويفعل فعل البالي المعتق
اذا مالبست الدهر مستمتعا به
تخرقت والملبوس لم يتخرق
ولم أر كالاحاظ يوم رحيلهم
بعثن بكل القتل من كل مشفق
ادرن عيونا حائرات كأنها
مركبة احداقها فوق زئبق
عشية يعدونا عن النظر البكا
وعن لذة التوديع خوف التفرق
نودعهم والبين فينا كأنه
قنا ابن أبي الهيجاء في قلب فيلق
قواض مواض نسج داود عندها
اذا وقعت فيه كنسج الخدرنق
هواد لأملاك الجيوش كأنها
تخير ارواح الكماة وتنتقى
تقد عليهم كل درع وجوشن
وتفرى اليهم كل سور وخندق
يغير بها بين اللقان وواسط
ويركزها بين الفرات وجلق
ويرجعها حمراً كأن صحيحها
يبكي دما من رحمة المتدفق

الي هنا انتهى المجلد التاسع ويليه المجلد العاشر
ان شاء الله وأوله مادة (نبت)